الدراية
مجلة علمية محكمة
تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

التواصل غير اللفظي في مجال الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي الشريف دراسة تحليلية دعوية

إعداد

الدكتور / محمد عباس عبد الرحمن المغنى

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين. القاهرة

العدد الرابع عشر - الجزء الأول - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاماً على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

و بعد ،،

فلقد خلق الله الإنسان وكرمه وفضله على سائر خلقه ، وكلفه بعمارة الأرض، وزوده بالأدوات التي تمكنه من التواصل مع العوالم الأخرى من حوله ، وأولى هذه الأدوات وأهمها اللغة بنوعيها اللفظية (العبارة) وغير اللفظية (الإشارة) ، ويركز معظم الناس على الكلمة المنطوقة (العبارة) كأسلوب محدد للتواصل وذلك لأهمية الكلمة في التواصل مع الآخرين حيث إنها إحدى الخصائص المميزة للإنسان والتي يستخدمها لتوصيل الأفكار والمعاني والمشاعر للآخرين .

ورغم هذا فإنه لا يمكن أن نتصور أنَّ الاتصال الإنساني إنما يتم فقط بالكلام المنطوق ، فهذا مجاف للحقيقة والواقع الذي يؤكد على أن الناس يتواصلون عبر قنوات متعددة : كالوسائل السمعية ، والبصرية، والإشارات ، والكلام المنطوق ، والمكتوب ، والابتسامة ، والعبوس ، وغيرها من سائر الإشارات والحركات سواء باليد، أم الوجه ، أم الرأس ... إلخ .

هذا فضلاً عن التداخل الشديد والتكامل بين التواصل اللفظي وغير اللفظي بحيث لا يمكن الفصل بينهما في عملية التواصل الإنساني والذى يتمثل في الإكمال تارة حيث تتوافق الرسالة اللفظية مع غير اللفظية وتتكامل معها ، والتكرار تارة أخرى حيث تكرر الرسالة غير اللفظية للرسالة اللفظية ، والإبدال تارة ثالثة حيث يمكن أن تستبدل الرسائل اللفظية برسائل

غير لفظية ، والتأكيد تارة رابعة ويتمّ ذلك باستخدام الاتصال غير اللفظي لتأكيد الرسائل اللفظية .

وللتواصل غير اللفظي عدة استخدامات في الحياة العامة : كالسياسة، والتعليم، والاقتصاد ، أما في الحياة الخاصة، فيتم اتخاذه كوسيلة تواصل رئيسة عند الصم البكم ، والتواصل الفعال مع الذات، والمحافظة على الصداقات، والعلاقات الزوجية ، والتواصل مع الآخرين .

والناظر لكتب السنة النبوية ودووين الحديث النبوي يدرك أن الاتصال غير اللفظي من أساسيات البيان النبوي في الدعوة ، والتربية ، والتعليم ، والوعظ ، والخطابة ، فعلى الدعاة أن يفيدوا من ذلك مع الحذر من المبالغة .

والتواصل غير اللفظي في إطار التواصل الإنساني وفى ضوء المنهج النبوي الشريف في البلاغ عن الله تعالى شمل كافة أجزاء الجسم من : (الرأس ، والوجه ، واليد ، والقدم ، والحركات المتنوعة لكل أجزاء الجسم) ولكل جزء تفاصيل إشارية ، ودلالات تعبيرية مؤثرة في السامع والمخاطب .

فالوجه فيه إشارات تعبيرية مؤثرة كثيرة منها : (الابتسام . الغضب . التعجب . الخوف) .

واليد فيها إشارات تعبيرية مؤثرة كثيرة منها : (الإشارة بالسبابة للدلالة على التوحيد . الإشارة بالسبابة والوسطي للدلالة على القرب . الإشارة بالسبابة والإبهام للدلالة على العدد ...الخ) فلكل جزء دلالته الإشارية والتأثيرية .

والحركات المتنوعة في الجسد ، والتى تؤدى إلى إشارات تعبيرية كثيرة جداً منها : (القيام . الجلوس . القعود . الاتكاء . الجلوس في وضع الاتكاء .

القعود من القيام . الجلوس من الوقوف . الركوع . والسجود ....الخ) وكلها إشارات لمعاني متعددة وجليلة يفهمها المتلقي .

أهمية الموضوع : وترجع أهمية هذا الموضوع لما يلي :

١) أن التواصل الدعوى الفعال هو أساس العلاقات الناجحة بين الدعاة والمدعوين، سواء أكان هذا التواصل عن طريق الاتصال اللفظي أم الاتصال غير اللفظي وهو ما يرادف في اصطلاحات الباحثين (لغة الإشارة . لغة الجسد . الاتصال الصامت . لغة العيون) ، والذي يتم الاتصال من خلاله عبر قنوات ووسائل متعددة تتمثل في: (الإشارات ، والحركات ، والإيماءات، وتعابير الوجه والعين ، والوقوف ، والجلوس ، نبرات الصوت ودرجاته المختلفة) وفهم الداعية لمهارات الاتصال غير الفظي ودلالاته وتوظيفه توظيفاً صحيحاً يؤثر في عملية الاتصال الناجح بين الداعية والمدعو.

٢) أن الاتصال غير اللفظي أحد شقى الاتصال الفعال ولا يمكن الاستغناء عنه في عملية التواصل الدعوى الجيد مع الآخرين ، ومن خلاله يتم التعبير عن الكثير من المعاني، المشاعر، والأفكار ، ونقلها وتوصيلها للمدعوين .

٣) إن قصور أداء الداعية في مخاطبة المدعوين يرجع إلى عوامل متعددة ، من أخطرها : عدم توظيف الاتصال غير اللفظي بطريقة صحيحة تزيد من درجة الانتباه والتفاعل مع الداعية ، مما يولّد أثراً سلبياً لدى المدعوين .

أسباب اختيار البحث: وكان مما دفعني لاختيار هذا البحث ما يلي :

١) ما بدأته من الكتابة حول موضوع (الدعوة إلى بالإشارة في ضوء المنهج القرآني تأصيلاً وتطبيقاً) مما كان دافعاً قوياً لدراسة أبعاد الموضوع في ضوء المنهج النبوي الشريف لتكتمل دراسة هذا العلم وتتضح معالمه في ضوء المصدرين الأصليين للدعوة الإسلامية .

٢) أن الاتصال غير اللفظي من العلوم الحديثة التي تُدرس في دول الغرب الآن حيث يقوم على كيفية التواصل الفعال فأردت أن أنقب عن هذا العلم لأُبين أصوله واستخداماته في ضوء المنهج النبوي الشريف في الدعوة الإسلامية.

٣) بيان الأبعاد الدعوية والفنية للتواصل غير اللفظي في المنهج النبوي الشريف ليستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى .

٤) بيان مدى اهتمام النبي - ﷺ - بالتواصل غير اللفظي ومدلولاته وآثاره وأهميته واستخداماته في خطابه الدعوى .

هدف البحث : وهدف هذا البحث يكمن فيما يلي :

١) أن يتعرف الداعية على مفهوم الاتصال غير اللفظي وأهميته وأدواته ودلالته.

٢) أن يتدرب الداعية على كيفية التأصيل الدعوى لمهارات الاتصال غير اللفظي في ضوء البيان النبوي من خلال كتب السنة النبوية الصحيحة.

٣) أن يستنبط الداعية مهارات الاتصال غير اللفظي وأدواته ودلالته من أصول الدعوة الإسلامية.

٤) أن يُطبق الداعية مهارات الاتصال غير اللفظي في ميدان العمل الدعوى .

منهج البحث : يعتمد هذا البحث على المنهج (الاستقرائى) القائم على قراءة وتتبع الاتصال غير اللفظي ودلالته الدعوية في البيان النبوي الشريف من خلال بعض كتب السنة الصحيحة ،ثم المنهج (الاستدلالى) القائم على تأيد المفاهيم الدعوية بالأدلة الواضحة والبراهين الساطعة ، وكذا المنهج (الاستنباطى) ومن خلاله تستنبط المفاهيم الاسلامية الموافقة لمفاهيم علم الاتصال غير اللفظي الحديث .

وفى ضوء هذه الأسباب والأهداف والمناهج العلمية سأحاول جاهدا التأصيل العلمي والدعوى لهذا الموضوع المهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى نشراً وبلاغاً في ضوء المنهج النبوي ، مبيناً التوظيف الدعوى له تحت عنوان :

(التواصل غير اللفظي في مجال الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي الشريف دراسة تحليلية دعوية)

وذلك في إطار خطة علمية محكمة تتضح معالمها فيما يلى :

خطة البحث : اشتمل هذا البحث على مقدمة وستة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة : فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه ، ومنهجه .

أما تقسيم البحث : فهو كالتالي :

المبحث الأول : مفهوم الاتصال غير اللفظي وأقسامه ودلالاته .

المبحث الثاني : أهمية الاتصال غير اللفظي ومكانته في ضوء المنهج النبوي.

المبحث الثالث : نشأة الاتصال غير اللفظي وأصله الإسلامي وإمكانية تطبيقاته الدعوية .

المطلب الأول : تاريخ الاتصال غير اللفظي ونشأته وتطوره.

المطلب الثاني : التواصل غير اللفظي وإمكانية تطبيقه دعوياً .

المبحث الرابع : العلاقة بين التواصل اللفظي وغير اللفظي وأثر ها في عملية الاتصال الدعوى .

المطلب الأول: العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية التواصلية.

المطلب الثاني : العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية الدلالية .

المبحث الخامس : ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي .

المطلب الأول: ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي بالهيئة الجسدية في المنهج النبوي .

المطلب الثاني : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة باليد في ضوء المنهج النبوي

المطلب الثالث: ضوابط ومهارات استخدام الإشارة بالعين في ضوء المنهج النبوي

المطلب الرابع : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة بالمتممات في المنهج النبوي

المبحث السادس : نماذج تطبيقية للتواصل غير اللفظي ودلالته التأثيرية في المدعوين في ضوء المنهج النبوي .

المطلب الأول : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية الدلالية .

المطلب الثاني: الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية النفسية.

المطلب الثالث : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية الدعوية عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً .

المطلب الرابع : التوظيف الدعوى للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال البلاغ والنشر في ضوء البيان النبوى

المطلب الخامس: نماذج تطبيقية للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال النقد الحديثي لكبار المحدثين .

المطلب السادس: نماذج تطبيقية للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال الخطابة من كبار الدعاة قديماً وحديثاً .

ثم الخاتمة : وبها النتائج ، والتوصيات ، والفهرس.

د / محمد عباس عبد الرحمن المغنى

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين. القاهرة

المبحث الأول :مفهوم الاتصال غير اللفظي وأقسامه

يُعد مصطلح الاتصال غير اللفظي من المصطلحات الحديثة نسبياً ، فقد خلت منه المعاجم القديمة ، وأفاضت فيه البحوث المعاصرة التي تحدثت عن لغة الجسد ، وتباينت أقوالهم حول تحرير مصطلح الاتصال غير اللفظي .

فيرى بعض الباحثين [١] أن الاتصال غير اللفظي (هو عملية إرسال واستقبال الرسائل من خلال مجموعة متنوعة من الطرق دون استخدام الرموز اللفظية (الكلمة) ويشمل هذا النوع من الاتصال على سبيل المثال : (اللمسة ، النظرة ، الحجم ، القرب ، تعبير الوجهي، الوقفة ، الصمت ، الترتيل ، الأصوات، وضع اختيار الكلمة والجملة).

وعلى هذا : فالاتصال غير اللفظي عند هؤلاء (هو عملية تواصلية قائمة بذاتها دون احتياج للاتصال اللفظي) ولا شك أن هذا مجاف للحقيقة والواقع لاستحالة الفصل بين التواصل اللفظي وغير اللفظي في عملية التواصل .

وهناك من العلماء والباحثين [٢] من قسم الاتصال غير اللفظي إلى أقسام هي:

١) لغة الإشارة : سواء أكانت إشارات بسيط أم معقدة.

٢) لغة الحركة والأفعال : وتشمل جميع الحركات والأفعال التي يراد منها توصيل المعاني والأفكار والأحاسيس .

---

(١) انظر: مقال الاتصال غير اللفظي لغة الجسد د / وحيد حامد عبد الرشيد. على الشبكة العالمية .

(٢) انظر: المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي . محمد مهدلى . ص ٧٠ . طبعة المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية . والاتصال الفعال . هالة منصور . ص ٤٥ .

٣) لغة الأشياء : كالمظهر والملبس واللون كارتداء اللون الأسود دلالة ع
الحزن في بعض البيئاتُ .

٤) لغة العيون : وتشمل نظرات العين بكافة الأشكال والدلالات .

والحق : أن هذا الرأي أشمل وأجمع من الرأي السابق ، فقد اشتمل عل
كافة عناصر التواصل الفعال باللغة غير اللفظية من (المرسل
والمستقبل ، والرسالة ، والوسيلة ، والاستجابة) .

وأمام هذين الاتجاهين نجد اتجاهاً ثالثاً للباحثين [1] وهم يرادفون ب
مصطلح الاتصال غير اللفظي والمصطلحات التالية :(لغة الإشارة . ل
الجسد . الاتصال الصامت . لغة العيون . السيمياء) ، والتي يتم التواصل م
خلالها عبر قنوات ووسائل متعددة تتمثل في : (الإشارات ، والحركات
وتعابير الوجه ، والإيماءات ، واتصال العين، والوقوف ، والجلوس ، ونبرا
الصوت ودرجاته المختلفة) .

وهذا ما أرجحه وأختاره في بحثي لأمرين :

<u>الأول :</u> صعوبة الفصل بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي في عمليا
التواصل الإنساني الفعال .

<u>الثاني :</u> اتفاق الرأيين في معظم الوسائل التي يتم من خلالها الاتصال غي
اللفظي.

---

(١) انظر على سبيل المثال : بحث " مدى توافر مهارات الاتصال غير اللفظية لدى هيئ
التدريس في كلية العلوم بجامعة القصيم من وجهة نظر الطلبة "، أحمد بن عبد الله ب
صقير العريني رسالة ماجستير (غير منشورة)، الأكاديمية العربية في الدنمارك ، كل
الآداب والتربية ، ٢٠١١م ، وبحث "فاعلية برنامج تدريبي سلوكي لتحسين بعض مهارا
التواصل غير اللفظي لدي عينة من الأطفال ذوي التوحد"، -محمد أحمد على رسا
ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٨م

وبناءً على هذا الاتجاه فقد تقاربت وتكاملت أقوال الباحثين في بيانهم لمفهوم الاتصال غير اللفظي كالتالي :

١) فعرفه بعض الباحثين بأنه : " لغة غير لفظية تشمل: الحركات، والإشارات، والإيماءات، والتعابير الصادرة عن أجزاء من جسم الإنسان، في مواقف مختلفة. وهذه اللغة تحمل دلالات ومعانياً رمزية، وتساعد على التواصل مع الآخرين، والتأثير عليهم بطريقة إيجابية أو سلبية ". (١)

٢) وعرفه البعض الآخر بأنه : يعتمد على التواصل بين المرسل والمستقبل، باستخدام التلميحات والإشارات والحركات الصادرة من الجسم. (٢).

٣) ويعرفه ثالث بأنه : " إشارات وحركات إرادية وغير إرادية، تصدر من الجسم بأكمله أو بجزء منه؛ لإرسال رسالة انفعالية إلى المحيطين بالإنسان، من خلال فروع ومفردات تتمثل في: لغات الوجه، والصوت، والأصابع، واليدين، واللمس، ووضعية وحركات الجسم، والمظهر، والألوان، والمسافات، والفراغ المكاني، والدلالات الرمزية لاستخدام الوقت ".(٣).

---

(١) أهمية لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين . عبد الله عبد الكريم السالم . مجلة الإدارة . المجلد ٣٣ . العددان (٣ ، ٤) . القاهرة. (٢٠٠١م).

(٢) لغة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم . آلن بيز- ص ٩ . تعريب: سمير شيخاني، ـ طبعة الدار العربية للعلوم . بيروت، لبنان . طبعة أولى عام ١٩٩٧م .

(٣) لغة الجسم (دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي) - مدحت أبو النصر . ص١١ . ط مجموعة النيل العربية . ط أولى القاهرة . عام٢٠٠٦م .

٤) ويعرفه رابع بأنه : " الاتصال الذي يستخدم الإشارات، والحركات، والإيماءات، والأصوات، والرموز "[١].

٥) ويعرفه خامس بأنه عبارة عن : " رسائل التواصل الموجودة في الكون الذي نعيشه، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس، ويتم تداولها عبر قنوات متعددة، وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية ... وتتجلى رسائل التواصل غير اللفظي عبر سلوك العين، وتعبيرات الوجه، والإيماءات، وحركات الجسد، وهيئة الجسد وأوضاعه، والشم، واللمس، والذوق، والمسافة، والمظهر، والمنتجات الصناعية، والصوت، والوقت ومفهوم الزمن، وترتيب البيئة الطبيعية والصناعية. [٢].

ويستخلص من هذا التعريف الخامس الملاحظات التالية[٣] :

- شمولية التواصل غير اللفظي: فهو يشمل جزءا كبيرا من الرسائل التواصلية المنتجة ضمن سياقات التواصل الإنساني؛ ولغات الكائنات الحية الأخرى؛ وجزءا كبيرا من التواصل بين الإنسان والآلة؛ وكل الرسائل الوجودية الصادرة عن عناصر الكون الأخرى .
- أن للحواس الخمس نصيب في تلقي وتمرير المنبهات غير اللفظية إلى الدماغ ليتم إدراكها كرسائل تواصلية.

---

(١) الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي . إبراهيم أبوعرقوب . ص ١٣ . ط دار مجدلاوي . عمان، الأردن . ط أولى . عام ١٩٩٣م.

(٢) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم . د / محمد الأمين موسى . ص٤ . طبعة دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة. عام ٢٠٠٣م .

(٣) انظر : التواصل الفعال: الأسس النظرية والمجالات التطبيقية . محمد الأمين موسى . ص٩٢ . طبعة جامعة الشارقة . عام ٢٠١٢.

- إن التقسيم الإجرائي بين التواصل اللفظي وغير اللفظي لا يمنع تغوّل هذا الأخير على حدود الأول سواء بقي في شكل ملفوظ . مسموع . أو تم تقديمه في شكل مكتوب مرئي.
- تشمل قنوات التواصل غير اللفظي لغة الجسد ونشاط الأعضاء الحسية والمنتجات الصناعية والإدراك الوجودي المتمثل في التعاطي مع المكان والزمان والمسافة.
- وأفادت التعريفات السابقة أن التواصل غير اللفظي أحد شقى التواصل بين بنى البشر، وأن العلاقة بينه وبين الاتصال اللفظي جد وثيقة .

ويمكن لنا أن نعرف الاتصال غير اللفظي في الميدان الدعوى بأنه عبارة عن : (مجموعة المهارات غير اللفظية التي يستخدمها الداعية في خطابه الدعوى مع المدعوين لتحقيق التواصل الدعوى الفعال)

ونقصد بمجموعة المهارات غير اللفظية :أى ما يستخدم الداعية من أساليب في دعوته كالإشارة بالوجه واليد ، والحركة بالجسم والرأس ، والإيماءة بالمظهر والصوت .

التي يستخدمها الداعية : أي ما يستعين به الداعية من مهارات غير لفظية مكملاً ومتمماً بها المهارات اللفظية لتوصيل الدعوة للمدعو حيث تتكامل معها أحياناً ، وتؤكدها تارة أخرى وتقوم مقامها تارة ثالثة .

في خطابه الدعوى مع المدعوين : من الخطب والدروس والمواعظ والمناظرات والمحاورات وغيرها من وسائل الدعوة الإسلامية .

لتحقيق التواصل الدعوى الفعال :وهو هدف العملية الدعوية حيث يستطيع الداعية نقل الدعوة للمدعو بصورة صحيحة وسليمة .

المبحث الثاني : أهمية الاتصال غير اللفظي ومكانته في ضوء المنهج النبوي الشريف .

المتتبع للمنهج النبوي الشريف في الدعوة إلى الله تعالى في كتب السنة النبوية الصحيحة يجد أن النبي – ﷺ– قد استخدم الاتصال غير اللفظي بشتى أنواعه ودلالته في الدعوة إلى الله تعالى في دعوته الفردية والجماعية في شتى الأحوال والمناسبات مما يؤكد على مشروعية التواصل غير اللفظي وعدم إمكانية استغناء الداعية عنه أياً كان موقعه .

وقد بوّب الإمام البخاري – رحمه الله – في صحيحه باباً يؤكد هذا المفهوم بجلاء فقال (باب من أجاب الفتيا بالإشارة باليد) وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صَحِيحِهِ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً تَدُلُّ عَلَى جَعْلِ الْإِشَارَةِ كَالنُّطْقِ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: بَابُ الْإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالْأُمُورِ وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ – : «لاَ يُعَذِّبُ اللَّهُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا» فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ . إِلَيَّ أَيْ: «خُذِ النِّصْفَ» وَقَالَتْ أَسْمَاءُ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ . فِي الكُسُوفِ، فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ وَهِيَ تُصَلِّي، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الشَّمْسِ، فَقُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ وَقَالَ أَنَسٌ، أَوْمَأَ النَّبِيُّ ﷺ . بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، أَوْمَأَ النَّبِيُّ ﷺ . بِيَدِهِ: «لاَ حَرَجَ» وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ . فِي الصَّيْدِ لِلْمُحْرِمِ: «أَحَدٌ مِنْكُمْ أَمَرَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَكُلُوا» [(١)] .

---

(١) صحيح البخاري . ٧ /٥١ . كِتَابُ الطَّلَاقِ . بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالأُمُورِ .

وفى هذه الترجمات وغيرها إشارة مهمة لتوظيف الاتصال غير اللفظي وذكر بعض أدواته كاليد ، والرأس ، والعين لما له من آثار طيبة في العملية الدعوية مثل تأكيد الكلام وجذب الانتباه والاختصار .

ولا يكاد يستغني الدعاة إلى الله عن الاتصال غير اللفظي بالإشارة وغيرها لأنها وسيلة بيان ، وهي أيضا معينة علي البيان ، ومنبهة إليه ، يقول شمس الحق العظيم أبادي : " بِدَأْبُ الْوُعَّاظِ وَالْقُصَّاصِ أَنَّهُمْ يُحَرِّكُونَ أَيْدِيَهُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا يُنَبِّهُونَ السَّامِعِينَ عَلَى الِاسْتِمَاعِ ... وَلِذَا بَوَّبَ النَّسَائِيُّ بَابَ الإشارة في الخطبة وبوب بن أَبِي شَيْبَةَ الرَّجُلَ يَخْطُبُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَهَكَذَا فهم الطيبي "[1] .

وقد لاحظ شُراح الحديث النبوي هذا الأمر فجعلوا له باباً خاصاً فتراهم يقولون مثلاً " باب الإشارة في الخطبة ... وباب الرجل يشير بيده في خطبته ... وباب رفع اليدين علي المنبر ... الخ . كل ذلك دليل ساطع علي مكانة الإشارة في المنهج النبي في الدعوة إلى الله تعالى .

وأدلة مشروعية استخدام اللغة غير اللفظية في الخطاب الدعوى بكافة ألوانه في المنهج النبوي الشريف أكثر من أن تحصى وقد نقلها كُتَّاب الحديث النبوي وشارحيه في كتبهم ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١) **ما أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم**، قال باب من أجاب الفتا بإشارة اليد والرأس، ثم ساق حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «وَلاَ حَرَجَ» [2] .

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، شرف الحق، العظيم آبادي . ٣ / ٣١٩ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ .

(٢) صحيح البخاري ١ / ٨ ٢/ ح ٨٤ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ .

ووجه الدلالة : أن النبي -ﷺ- استخدم الإيماء بيده للدلالة على الإباحة والجوز.

٢) ومن الأمثلة ما رواه البخاري عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» (١) . ووجه الدلالة : أن النبي -ﷺ- أخبر عن قرب قيام الساعة باللغة غير اللفظية باستخدام إصبعيه وكانت الرسالة واضحة .

٣) وفي الحَدِيثِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ! فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَّفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ. (٢). وقوله (يقبض العلم) يذهب ويفقد بموت العلماء. (الفتن) جمع فتنة وهي الإثم والضلال والكفر والفضيحة والعذاب وهي أيضا الاختبار والمراد هنا المعاني الأولى. (الهرج) الفتنة واختلاط الأمور وكثرة الشر ومن ذلك القتل . ففسر الهرج بالقتل وغيره بإشارة يده الشريفة .

٤) ومن الأمثلة ما رواه البخاري عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا) (٣). وقوله (كافل اليتيم) القائم بأمره ومصالحه والحافظ لأمواله واليتيم من مات أبوه ولم يبلغ . (وأشار) لبيان شدة قرب كافل اليتيم منه - ﷺ - (السبابة) هي المسبحة وفي نسخة (بالسباحة) . (فرج) فرق قليلا لبيان التفاوت بين الأنبياء وغيرهم .

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ١٦٦ / ح ٤٩٣٦ . باب سورة النازعات .

(٢) صحيح البخاري . ١ / ٢٨ . ح ٨٥ بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ .

(٣) صحيح البخاري . ٧ / ٥٣ . ح ٥٣٠٤ بَابُ اللِّعَانِ .

٥) ومن النماذج ما رواه البخاري عنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) [١].ووجه الدلالة : أن النبي - ﷺ - أشار لقوة العلاقة بين المؤمنين بحركة تشبيك الأصابع ليقرر المعنى في أذهان المدعويين .

٦) وروى البخاري عن ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا» وَخَنَسَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ) [٢].

قوله : (هكذا وهكذا) أي أشار بيديه الكريمتين ناشرا أصابعه مرتين فهي عشرون. (وخنس الإبهام في الثالثة) أي أشار في المرة الثالثة كما أشار قبلها ولكنه قبض الإبهام فهي تسع فيكون المجموع تسعا وعشرين .

وهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة قاطعة على مشروعية استخدام الاتصال غير اللفظي في ميدان الدعوة إلى الله تعالى ، وأن اللغة الصامتة هي إحدى شقى الاتصال بالمدعوين وتوصيل المعاني لهم والتأثير فيهم ، سواء أكان عن طريق السلوك الموجه أم الطبعي .

وقد كان الرسول -ﷺ- يُكثر من استخدام الاتصال غير اللفظي ؛ وذلك لعلمه بأهميته وقدرته على توصيل ما يريد إلى أصحابه ومجتمعه، وقد كان الصحابة رضوان الله عنهم بارعين في معرفة اللغة غير اللفظية وفهم دلالتها الدعوية .

ولقد حرص الصحابة . رضى الله عنهم . جميعاً حين سمعوا رسول الله عليه السلام يقول : " بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" [٣] حرصوا على نقل البيان النبوي كاملاً غير منقوص ، بكل ما فيه من وسائل البيان والإيضاح من

---

(١) صحيح البخاري . ١ / ١٠٣ . ٤٨١ بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ

(٢) صحيح البخاري ٣ / ٢٧ . ١٩٠٨ بَابُ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا».

(٣) صحيح البخاري بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٤ / ١٧٠. ح ٣٤٦١.

(لفظ ، وخط ، وإشارة ، وعقد ، وحال) لعلمهم بما لهذه الوسائل من دور في توصيل المعاني والأفكارُ والرسائل ، وتكوين الدلالات ، وأنها تحمل في طياتها أحكاماً شرعية ، ووصايا نبوية ، وغيرها من تعاليم الدين الحنيف ، ومن هنا فقد نقلوا إلينا كل شيء وبلغوه كما سمعوه ورأوه من رسول الله – ﷺ – .

والناظر فيما أثر من كتب الحديث النبوي كثير ما يسمع هذه النقول عن الصحابة . رضى الله عنهم . فتسمعهم يقولون : قال رسول الله – ﷺ– كذا وأشار بالسبابة والوسطى ، أو قال كذا وجمع بين أصابعه ، أو شبك بين أصابعه .وتراهم يقولون : خط رسول الله – ﷺ– خطوطاً في الأرض ... ثم قال كذا ... بل إنهم أطلقوا على الإشارة لفظ (القول) : تسمعهم يقولون : قال بأصبعه كذا .

ومن النماذج الدالة على ذلك ما يلى :

١) **ما رواه البخاري حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ** –ﷺ– فَقَالَ: قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ، ثُمَّ قَالَ: بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ : «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»[(١)] .

٢) **وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ** – ﷺ – إِذَا سَافَرَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ، قَالَ بِإِصْبَعِهِ – وَمَدَّ شُعْبَةُ إِصْبَعَهُ – قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا بِنُصْحِكَ، وَاقْلِبْنَا بِذِمَّةٍ، اللَّهُمَّ ازْوِ لَنَا الأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ» [(٢)] .

---

(١) سنن أبي داود، بَابُ صِفَةِ حَجَّةِ النَّبِيِّ ٢ / ١٨٢ ، ح ١٩٠٥. ط المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

(٢) سنن الترمذي . الترمذي، بَاب مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مُسَافِرًا ٥ / ٤٩٧ . ح ٣٤٣٨ .

٣) عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ صُهَيْبٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ: «مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ إِشَارَةً، وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ بِإِصْبَعِهِ» (١) .

٤) وعَنْ أَنَسٍ، فِي قَوْلِهِ {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ} قَالَ: أَشَارَ إِلَيْهِ بِيَدِهِ، أَوْ قَالَ: بِأُصْبُعِهِ، فَتَعَفَّرَ الْجَبَلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، أَيْ مَيِّتًا." (٢).

وهذه النقول تدل دلالة صارخة على أهمية اللغة غير اللفظية في التواصل الإنساني واهتمام الجيل الأول من الصحابة . رضى الله عنهم . بها وفهم مدلولاتها من الخطاب النبوي.

وهذا دليل قاطع ، وبرهان ساطع على منزلة هذه الوسائل البيانية في حمل الدعوة إلى المدعوين باختلاف موضوعاتها ومناسباتها .

وقد كان الصحابة . رضى الله عنهم . وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب (٣). رضى الله عنه . أيضاً يعرفون حال الرسول - ﷺ - من خلال أفعاله وإيماءاته ، وكانوا - رضى الله عنهم - يفهمون هذه الرسائل الموجه

---

(١) السنن الصغرى للنسائي بَابُ رَدِّ السَّلَامِ بِالْإِشَارَةِ فِي الصَّلَاةِ ٣ / ٥ ح ١١٨٦وقال الألباني: صحيح

(٢) السنة . لابن أبي عاصم . بَابٌ فِي ذِكْرِ تَجَلِّي رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَبَلِ عِنْدَ كَلَامِهِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١ / ٢١١ ـ طبعة المكتب الإسلامي بيروت ط أولى، ١٤٠٠وقال الألباني: إسناده صحيح و رجاله ثقات رجال الشيخين غير أَزْهَرُ بْنُ مَرْوَانَ وهو ثقة.

(٣) يقول الأستاذ العقاد في مجال حديثه عن فراسة عمر : وكانت له فراسة عجيبة نادرة يعتمد عليها ويرى أن : " من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه " ... ثم يقول : هذه الفراسة وشبيهاتها هي ضرب من استيحاء الغيب ، واستنباط الأسرار بالنظر الثاقب ، والذي يعنينا من الفراسة وشبيهاتها في صدد الكلام عن عمر . رضوان الله عليه . أن يحصي الخصال التي هي كالفراسة في هذا الاعتبار وهي : ١- التفاؤل . ٢- والاعتداد بالرؤيا . ٣- والنظر أو الشعور على البعد ، أو " التلباثي " كما يسميه النفسانيون المعاصرون . ولكل أولئك شواهد شتى مما روى عن عمر " عبقرية عمر العقاد ص٧٨

عبر لغة الإشارة ، ويدركون معناها، دلَّ على ذلك كثير من الأحاديث التي صحت عن الرسول -ﷺ- ، ومنها :

١) **ما رواه مسلم قال كَانَ رَسُولُ اللهِ** -ﷺ- إِذَا كَانَ يَوْمُ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرَّ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ ذَلِكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي» (١) .

٢) **ما رواه البخاري عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ**، يَقُولُ: «كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ » (٢) . وإنما فعل الرسول -ﷺ- ذلك لأنه كان يخشى أن تكون هذه الريح عذاباً، فتظهر بعض التغيرات على وجهه الشريف.

٣) **وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ:** «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ إِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَا ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ» (٣) .

٤) **عَنْ أَنَسٍ قَالَ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - نُخَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ فَحَكَّهُ وَقَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوْ إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قِبْلَتِهِ فَلْيَبْزُقْ إِذَا بَزَقَ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ) (٤) .

---

(١) صحيح مسلم . بَابُ التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ، وَالْفَرَحِ بِالْمَطَرِ ٢ / ٦١٦ / ٨٩٩.

(٢) صحيح البخاري . بَابُ إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ٢ / ٣٢ . ح ١٠٣٤ .

(٣) صحيح البخاري . بَابُ مَنْ لَمْ يُوَاجِهِ النَّاسَ بِالعِتَابِ ٨ / ٢٦/ ح ٦١٠٢ .

(٤) التمهيد . ابن عبد البر . ١٤ / ١٥٨ . ح ٤ ،ط وزارة الأوقاف– المغرب عام ١٣٨٧ هـ .

وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن لغة الإشارة قد استخدمت في العصر النبوي من سيد الدعاة - ﷺ - ومن الصحابة . رضى الله عنهم . مما يدل على مشروعية استخدامها وإمكانية تطبيقها في المجال الدعوى .

وخلاصة القول :

أننا إذا ما أرجعنا النظر في الأحاديث التي تظهر فيها الحركات ، والإشارات ، والإيماءات ، فإنها تقسم إلى قسمين [١] :

الأول : أحاديث اشتملت على هذه الظاهرة عامة ، والحركات الجسدية خاصة ، فأثبت كل حديث في بابه تحت عنوان يلفه ، فكانت مفرقة في أبواب متناثرة مختلفة باختلاف الموضوع المعقود له ذلك العنوان .

والثاني : أحاديث اشتملت على حركات جسدية فجمعت في مكان واحد ، فأثبت تحت باب ارتضى له المصنف عنواناً قائماً برأسه ، ومن ذلك : " باب الإشارة في الصلاة "[٢].. " وباب الإشارة بالسكوت ".. " وباب الإشارة برد السلام " . " وباب الإشارة فيما ينويه في صلاته يريد بها إفهاماً " [٣].

" وباب الإشارة " في صحيح البخارى ، ومن ذلك الإشارة في الطلاق والأمور ، وقد جمع فيه البخارى نماذج واضحة الدلالة على هذه الظاهرة خاصة ، والبيان بلا لسان عامة ،ومن ذلك أن الأخرس " قد يقذف امراته

---

(١) انظر : البيان بلا لسان . مهدى أسعد عرار . ص ٢٥٤ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى . عام ٢٠٠٧ م .

(٢) ورد هذا في الكثير من كتب الحديث ، ومن ذلك : صحيح البخارى باب " الإشارة في الصلاة " ، (٧٨٥ / ١١٥٣) ، ١/٥٣٠ - ٥٣١ ،وسنن أبى داود ، باب " الإشارة في الصلاة " (٧٥) ، ١/٢٨٤ .

(٣) السنن الكبرى ، البيهقى ، ٣/٢٢١ ، ٢/٢٥٨ . ٢/٢٦١ .

بكتابة ، أو إشارة ، أو بإيماء معروف ، فهو كالمتكلم ، لأن النبي – ﷺ – قد أجاز الإشارة في الفرائض" [١] .

وقد ذهب بعض أهل العلم . كما يقول البخاري [٢] . إلى أن الطلاق قد يقع بكتاب ، أو إشارة ، أو إيماء ،وقال بعضهم : إذا قال أنت طالق وأشار بأصابعه إشارة تبين منه بإشارته فقد مضى الطلاق ، وقالوا : إذا كتب الأخرس الطلاق بيده لزمه ، وإذا أشار الأصم والأخرس برأسه جاز .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ٧ / ٥٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ٧ / ٥٢ .

المبحث الثالث : نشأة الاتصال غير اللفظي وأصله الإسلامي وإمكانية تطبيقاته الدعوية .

وفى هذا المبحث أحاول إلقاء الضوء على نشأة الاتصال غير اللفظي وتاريخه وتطورها ، لأرد على المفاهيم الغربية المغلوطة في هذا المجال من ناحية ، ولأجيب على السؤال المطروح هل هذه اللغة متفق عليها في معظم الثقافات العالمية أم لا ؟ من ناحية أخرى ، وبذلك ندلل على إمكانية تطبيق اللغة غير اللفظية كلغة قائمة بذاتها في مجال التواصل الدعوى وذلك في المطلبين التاليين :

المطلب الأول : تاريخ الاتصال غير اللفظي ونشأته وتطوره

يُعد الاتصال غير اللفظي أحد شقى الاتصال الفعال والذى لا يتم بمعزل عن الاتصال الناطق ،وقد أكدت الدراسات العلمية التي أجريت في هذا الميدان أن الاتصال غير اللفظي لغة متوغلة في القدم وموجودة في حضارات ما قبل الحضارة الإسلامية كالحضارة المصرية القديمة ، والحضارة الرومانية .

ومن أوائل الحضارات التي اهتمت بالاتصال غير اللفظي الحضارة اليونانية القديمة ففي عام ٤٥٠ ق.م أشار (أبقراط) [١] أبو الطبّ إلى الاتصال غير اللفظي من خلال ملامح الوجه، واعتقد هذا العالم جازماً في تأثير العوارض الخارجية على الأخلاق ، وظهور ذلك في الملامح يدل على هذا ما ذكره صاحب كتاب أخبار العلماء بأخيار الحكماء " أن أفليمون

---

(١) وأبقراط هُوَ أبقراط بن أيراقليدس بن أبقراط تعلم صناعَة الطِّبّ من أَبِيه وَمن جده أبقراط وقد أسرا إِلَيْهِ أصُول صناعَة الطِّبّ وَكَانَت مُدَّة حَيَاة أبقراط (٩٥) سنة مِنْهَا صبي ومتعلم (١٦) سنة وعالم معلم (٧٩) سنة عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة - ص ٤٣. ط دار مكتبة الحياة – بيروت .

صاحب الفراسة كَانَ يزعم فِي زمانه أنه يستدل بتركيب الأسنان عَلَى أخلاق نفسه فاجتمع تلاميذ أبقراط وقال بعضهم لبعض هل تعلمون فِي زماننا هَذَا أعلم من هَذَا المرء يعنون بقراط فقالوا لا فقالوا نمتحن بِهِ أفلاطون فيما يدعي من الفراسة فصوروا صورة بقراط ثُمَّ نهضوا بِهَا إِلَى أفليمون وكانت يونان تحكم الصورة بحيث تحكيها عَلَى الوجه فِي قليل أمرها وكثيره وسبب ذلك أنهم كانوا يعظمون الصورة ويعبدونها فأحكموا لذلك التصوير وكل الأمم تبع لهم فِي ذَلِكَ ويظهر التقصير من التابعين فِي التصوير ظهوراً بيناً فلما حضروا عند أفليمون وقف عَلَى الصورة وتأملها وأنعم النظر فِيهَا ثُمَّ قال هَذَا رجل يحب الزنا وهو لا يدري من هو المصور فقالوا كذبت هَذِهِ صورة بقراط فقال لا بد لعلمي أن يصدق فاسألوه فلما رجعوا إِلَى بقراط أخبروه الخبر فقال صدق أفليمون أحب الزنا ولكنني أملك نفسي[١] .

وسجل صاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) أنه وجد " لأرسطوطاليس أَيْضاً من الْكتب مِمَّا وجدت كثيرا مِنْهَا غير الْكتب الَّتِي شَاهدهَا بطليموس كتاب الفراسة . "[٢] . والفراسة من أقسام الاتصال غير اللفظي .

كما قام (غالينوس إقلوديوس) الحكيم اليوناني في القرن الثاني قبل الميلاد بكتابة مخطوطة نادرة عن الفِرَاسة. ويعتبر الصينيون القدماء أكثر من تميَّز بدراساتهم الدقيقة والوافية لتعابير الوجه الإنساني، وهم يطلقون على هذا العلم ((السيانغ ميان)) [٣] .

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء . جمال الدين القفطي (ت: ٦٤٦هـ) ص ٧٥ . المحقق: إبراهيم شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي . ص ١٠٥.

(٣) كيف تتعرف على شخصية الآخرين من ملامح الوجه . يوسف أبو الحجاج ص٨، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق . عام ٢٠٠٧م .

وعن تاريخ لغة الإشارة كعلم نقرأ ما جاء في معجم العلوم الإنسانية، بإشراف : جان فرنسوا دورتيه : علم الإشارة، أو السيمياء، هو علم الإشارة العام. و هو يتناول كافة أشكال الخطاب، مهما كانت حال تمظهره : رسم، حركة، فيلم نص و لباس ... و التأمل بهذا الموضوع قديم بلا شك، و يمكن القول إن أول نظرية كبرى تناولته، ترقى إلى القديس أوغسطينوس (٣٥٤ -٤٣٠)؛ إذ اقترح تصنيفا للإشارات بحسب مصدرها، طبيعتها و درجة قصديتها ... بل إن الكلمة (إشارة) قد ظهرت لأول مرة في كتابات الفيلسوف الإنجليزي جون لوك ١٦٩٠) إلا أن مشروع وجود اختصاص يخصص لدراسات الإشارات لم يتكون إلا مع بداية القرن العشرين، وقد انقسم هذا العلم إلى تيارين: أوروبي مع سوسير، و سيميائي أمريكي مع شارل س . بيرس . [١] .

هذا : وقد ساهم العرب كثيراً في الاتصال غير اللفظي من خلال ما يسمى بـ ((علم الفراسة)) أو ((علم الطباع)) واهتموا بهذا العلم، وتوسعوا في التأليف بهذا الباب. ويُعدُّ (ابن سينا: ٤٢٨هـ/١٠٧٣م) أول من ذكر الفراسة في رسالة موجزة يصف فيها العلوم العقلية؛ حيث وضعها في المرتبة الثالثة بعد الطب وعلم أحكام النجوم [٢] .

ومما يدلل على اهتمام واستخدام العرب للاتصال غير اللفظي (بالإشارة) أنهم سجلوا ذلك في كتبهم فذكر الحسن بن رشيق صاحب (العمدة) أنهم قالوا : " مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت، فهذا باب تتقدم

---

(١) معجم العلوم الإنسانية، بإشراف : جان فرنسوا دورتيه، ترجمة : د.جورج كتورة، ص ٧٣٢ . الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، المؤسسة الجامعية للدراسات النشر و التوزيع .

(٢) الفراسة وقراءة الأفكار. هيكل نعمة الله، ص١٢. جروس برس، ط٥، طرابلس، لبنان. ٢٠٠٤م.

الإشارة فيه الصوت، وقيل: حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، جاء بذلك الرماني نصاً، وقاله الجاحظ من قبل، وأخذ على بعض الشعراء في قوله:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها *** إشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قال مرحباً *** وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

فكان هذا كله مما تحمله إشارة خائف مذعور.

وجاء أبو نواس بإشارات أخر لم تجر العادة بمثلها، وذلك أن الأمين بن زبيدة قال له مرة: هل تصنع شعراً لا قافية له؟ قال: نعم، وصنع من فوره ارتجالاً :

ولقد قلت للمليحة قولي *** من بعيد لمن يحبك: " إشارة قبلة "

. فأشارت بمعصم ثم قالت *** من بعيد خلاف قولي: " " لا لا "

فتنفست ساعة ثم إني ... قلت للبغل عند ذلك: " " امش " فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه ، وأعطاه الأمين صلة شريفة. (١)

فهذا التحدي الذي جرى بين أبي نواس وبين جلسائه والذي طلبوا منه فيه أن ينظِم شعراً ليس له قافية، فأنشد الثلاثة أبيات السابقة معتمداً فيها على حركات جسمه يدل على استخدام العرب للغة الإشارة . والإشارات في هذه الأبيات إما أن تكون باليد أو بحركات الشفة .

وقد كتب الكثير من علماء العرب في علم الفراسة كابن سينا وابن رشد والشافعي والرازي ، ويُعد الإمام الرازي من أوائل من تناولوا هذا العلم وحدد ماهيته (٢) وعده صاحب مفتاح السعادة من فروع العلم الطبيعي (٣).

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ابن رشيق ،ص٣١٠ ط دار الجيل (٥)١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .

(٢) الفراسة دليلك إلى معرفة أخلاق الناس . الرازي . ص ٨، ٩ ، طبعة مكتبة القرآن، القاهرة.

(٣) أبجد العلوم . محمد صديق خان . ١/ ٤٤٥ . وراجع علم الفراسة . إحسان حقي . ص ١٠ .

وذكر صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (ت ١٠٦٧هـ) بعض اسهامات العرب في هذا الميدان والتي منها : (رسالة الفراسة للشيخ، الرئيس ابن سينا).، (وسلم الحداسة، في علم الفراسة لابن الدريهم الموصلي)، الشافعي.ت ٧٦٢م) ، (والسياسة، في علم الفراسة للشيخ محمد بن أبي طالب.ت ٧٣٧) وكتاب الرازي: (خلاصة كتاب أرسطو) و (كتاب السياسة) .لمحمد بن الصوفي. مختصر.مفيد في هذا العلم. " .[١]

وأضاف صاحب إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (ت ١٣٩٩هـ) بعض الإسهامات العربية في هذا المضمار والتى منها (إتحاف أهل الكياسة في علم الفراسة – منظوم لمحمد بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري الحلبي ت١٠٥٧ م ، و(إكمال السياسة في علم الفراسة لمحمد ابن ساعد الأنصاري) الفراسة الإنسانية – لزين العابدين محمد العمري ت بعد سنة ٩٦٥ م) " .[٢]

وإذا كانت البحوث الغربية تعد هذا العلم . علم لغة الإشارة . من العلوم الحديثة نسبياً ، حيث ذكر (ألن بيز) أن هذا العلم لم يُعط الدراسة بشكل علمي حتى بداية السبعينات من القرن الماضي ، عندما نشر "جوليوس فاست" كتابا عن لغة الجسم ، لخص فيه دراسات علماء السلوك على الاتصالات الصامتة [٣] .

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة . ١ / ٨٧٩ . ٢ / ٩٩٧ . ٢ / ١٠١١. ٢ / ١٢٤١الناشر: مكتبة المثنى – بغداد ، ودار الكتب العلمية . ١٩٤١م

(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ٣ / ١٦ ، ١١٧. ٣ / ١٩٩، ٢٠٣ ، ٤٦٣ . ، . طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

(٣) لغة الجسم : كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم . ألن بيز . ص٤ .

لكن الباحث المنصف يُدرك جيداً أن العرب والمسلمين كان لهم قصب السبق في هذا المضمار حيث تبين بالبحث والدراسة سبقهم للغربيين بما دونوه من أساسيات هذا العلم وإن اختلفت المسميات حيث تناولوه قديماً في أبحاثهم ودراساتهم وكان " لهم أثر مهم في دراسة وتطوير هذا العلم تحت مسمى "علم الفراسة" أو "علم الطباع"[١] بعدما تأثروا بدراسات الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتبه [٢] .

ثم تطور علم الفراسة حتى أصبح من العلوم التي تدرس ، وانتقل بعد ذلك إلى علم منهجي مع تتطور الطب وعلم النفس كما هو حاصل في الوقت الحالي[٣] .

واستمر هذا العلم في تطور [٤] ولكن بنسب ضئيلة. ففي عام ١٨٧٢م نشر (تشارلز داروين) كتابه ((التعبير عن العواطف لدى كل من الإنسان والحيوان)) والذي أبدى فيه اهتماماً كبيراً بلغة الجسم.

ويذكر بعض الباحثين أن الدراسة العلمية للاتصال غير اللفظي ترجع إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، ففي خمسينات القرن العشرين بدأت تظهر بعض الكتب العلمية عن لغة الجسم؛ حيث نشر كل من (كيس

---

(١) علم الفراسة استمرار الخلق وإبداعها،إحسان حقي، ص٥٧،ط دار النفائس، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣.

(٢) علم الفراسة الحديث . جرجي زيدان . ص٩. طبعة دار الهلال . طبعة رابعة القاهرة، ١٩٢٣ م وذكر أن :علم الفراسة لم يدون قبل أرسطو .

(٣) لغة الجسم ألن بيز ، ، ص٤ . الرازي ، الفراسة ، ص٩/٨ .

(٤) لغة الجسم (دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي) ـ مدحت محمد أبو النصر، ص٧١،٧٠ . ط١، مجموعة النيل العربية، القاهرة . عام ٢٠٠٦ م.

و روشي) عام ١٩٥٦م كتاباً عن الاتصال غير اللفظي وتضمن ملاحظات عن الإدراك.

وتواصل ظهور الكتب العلمية التي تهتم بدراسة الاتصالات غير اللفظية، ففي عام ١٩٧٢م قام (ألبرت مهربيان) بنشر كتاب عن الاتصال غير اللفظي. وفي سلسلة من التجارب المحكَّمة استطاع (مهربيان) أن يثبت أن الإشارات غير اللفظية أبلغ تأثيراً من المثيرات الأخرى، وقد ركَّز على الوجه باعتباره مصدراً رئيساً للمعلومات غير اللفظية.

وبعد ذلك بدأت تظهر كتب تعنى بالاتصال غير اللفظي، ولكن بشكل تخصصي، فمنها كتب تهتم (بتعبيرات الوجه، وأخرى بحركات الجسم، أولغه العيون ...). ثم دخل الاتصال غير اللفظي - أو كما يسمى لغة الجسم أو اللغة الصامتة - مرحلة متقدمة تمثَّلت باهتمام العلوم المرتبطة بهذا النوع من الاتصال بتقديم كتب وبحوث تخدم هذه العلوم، فعلى سبيل المثال من العلوم والمهن المتخصصة التي اهتمت بالاتصال غير اللفظي، والاستفادة منها في مجال التخصص: علماء النفس، والطب النفسي، وكذلك علماء الإدارة، ومن العلوم التي اهتمت به أيضا الأنثروبولوجيا، والاجتماع، ومن المهن : التربية الخاصة، والخدمة الاجتماعية [١] .

وعلى هذا فقد ساهم العرب كثيراً في الاتصال غير اللفظي من خلال ما يسمى بـ (علم الفراسة) أو (علم الطباع) ، واهتموا بهذا العلم، وتوسعوا في التأليف في هذا الميدان ، ويُعدُّ (ابن سينا: ٤٢٨هـ/١٠٧٣م) أول من ذكر الفراسة في رسالة موجزة يصف فيها العلوم العقلية؛ حيث وضعها في المرتبة الثالثة بعد الطب وعلم أحكام النجوم ، ثم جاء (الرازي - ٥٤٤ -

(١) انظر : لغة الجسم . أبوالنصر، ص٧٠-٧١ .

٦٠٦هـ) في كتابه ((الفراسة)) .وكذلك ابن رُشد، والشافعي. ومن أشهر من عالج هذا الموضوع شمس الدين محمد أبي طالب الأنصاري، في كتابه (السياسة في علم الفراسة).

وإذ كان علماء العرب والمسلمين قد أسهموا هذه الإسهامات في مجال لغة الإشارة وخصوها بدراسات فردية متعددة والتي لم تظهر كعلم مستقل إلا حديثا وبمحاولات امتدت نحو نصف قرن من الزمان ، فإن القرآن الكريم تحدث عن هذه اللغة منذ (١٤٣٣) عاماً كإحدى قنوات الدعوة والحوار والتواصل مع الآخرين وتبين للباحثين في هذا الميدان " أن القرآن الكريم حافل بالأمثلة الكفيلة بإثبات أن قناة الاتصال غير اللفظي التي هي قيد الدرس، يمكن فهمها من خلال القرآن الكريم ، بمعزل عن الدراسة الحديثة ، وفى بعض الأحيان ، يزودنا القرآن الكريم بنواة لمعجم عن مفردات قناة اتصالية غير لفظية بعينها " [1].

وخلاصة القول :

مما سبق يتَّضِحُ أنَّ الاتصال غير اللفظي لغة قديمة جدا ومعروفة لدى الحضارات القديمة والحديثة ،ولها أصولها وجذورها عند المسلمين الأوائل ، ووجدت عند العرب قبل خمسة عشر قرناً من الزمان وليس كما زعم منظرو الغرب لتاريخ اللغة غير اللفظية ، كما أثبتنا بالدليل العملي بإثبات بعضاً من تراث العرب والمسلمين في هذا الميدان ، وقد وجدت إشارات عديدة لمدلولات هذه اللغة في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة.

---

(١) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم . محمد أحمد الأمين . ص ١٠٩٧.

المطلب الثاني : التواصل غير اللفظي وإمكانية تطبيقه دعوياً .

وإذا كنا نتحدث عن الاتصال غير اللفظي في ميدان العمل الدعوى وإمكانية تطبيقه في واقع الناس جميعاً انطلاقاً من شمولية وعمومية الدعوة الإسلامية ، فإن مما يطرأ على الذهن هل هذه اللغة متفق عليها في معظم الثقافات العالمية أم لا ؟ .

وبالإجابة على هذا السؤال نكون قد وقفنا على الحقيقة العلمية التي تُسهل عمل الداعية ، وتجعله ينطلق بالدعوة الإسلامية من خلال هذه اللغة غير اللفظية .

والحقيقة أنه قد أجريت دراسات عدة حول هذا الموضوع هل لغة الإشارة فطرية يعرفها كل الناس ؟ أم أنها لغة مكتسبة ويمكن تعلمها ؟

وفى محاولة علمية جادة أجاب بحث متخصص عن هذا فقال : " ومستصفى القول في تلكم التساؤلات أن بعض الحركات باعثها فطرة الله التي فطر الخلق عليها ، ولعل أجلى مثال على ذلك الأطفال والصم والبكم والعمى الذين تصدر عنهم إيماءات وإشارات جسدية دون أن يكونوا قد رأوها فحاكوها ، كالابتسامة في معنى الفرح ، والكشرة في معنى الحزن ، وتقطيب الوجه في معنى الغضب ، وهزة الرأس في معنى القبول ، وأن بعض تلكم الحركات الجسدية الدالة على معان قد تتخلق عند المرء بالاكتساب وأن هذه الحركات المكتسبة تنقسم إلى قسمين :

- أولهما : أن تكون حركات مكتسبة بالمحاكاة والتقليد .
- وثانيهما : أن تكون مكتسبة بالدربة والمراس ، كالتحايا العسكرية والغمز بطرف العين وإشارات الصم والبكم المتعلمة .

أما الضرب الأول من الحركات . أعنى الحركات الفطرية . فقد ترددت بين ستة معان سميت بالانفعالات الستة العالمية : وأولها البهجة . وثانيها

الحزن . وثالثها الاشمئزاز . ورابعها الخوف .وخامسها الغضب .وسادسها الدهشة . " [١]

والخلاصة : سواء أكانت هذه الحركات والإشارات فطرية أم مكتسبة فليس هناك عوائق أمام الدعاة المخلصين والعلماء العاملين في إمكانية تطبيقها في ميدان العمل الدعوى فما يدرك منها بالفطرة فجميع المخاطبين على علم به ، وما كان منها مكتسباً فيمكن للداعية أن يتعلمه .

والذي لاشك فيه أن الإنسان بمقدوره أن يدرك دلالات الإشارات والحركات والإيماءات حسب المواقف والسياقات مهما اختلفت البيئات والثقافات واللغات والديانات ، وقد أكدت الدراسات الميدانية في مجال علم النفس والاجتماع ذلك "

وقد نهد عالم نفس أمريكي إلى الخوض في تأصيل هذه الانفعالات الستة . السابقة . طلبا للتحقق من عموميتها وتعارف أهل الخليقة البشرية عليها ، فوزع صورا كان قد التقطها معبرة عن تلكم المعاني المتقدم بيانها على جماعات من أجناس ، وبلدان ، وأعمار متباينة ، وكانت صفوة القول التي أفضت إليها نتائج مباحثاته دالة على أن العينة تتواضع على معانيها تواضعا فطريا فثبت أن :٩٣% منهم أجمعوا أمرهم على معنى البهجة . و٨٨% اجمعوا على معنى الدهشة. و ٨٣% أجمعوا على معنى الاشمئزاز. و٨١% أجمعوا على معنى الحزن . و٧٦% أجمعوا على الخوف . و٧٣% أجمعوا على معنى الغضب . [٢] .

إذن : فيمكن للشخص – بغض النظر عن لونه ، وجنسه ، ومشربه ،

---

(١) البيان بلا لسان مهدى عرار . ص٣٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى – عام ٢٠٠٧ م.

(٢) انظر: المرجع السابق . نقلاً عن : باكو ، لغة الحركات ، ص ٣٥.

ولسانه – أن يفهم هذه المعاني بالفئ إلى الإيماءات والحركات الفطرية التي تظهر في سياقها . فالإشارة لغة منظورة فكما تكون باليدين والأصابع تكون كذلك بالعينين والحواجب والرأس، والوجه ولكل أمة فهم معين للغة الإشارة، والإشارة قد تؤدي من المعاني ما لا يؤديه اللسان، ولذا قالوا : " رب إشارة أبلغ من عبارة " [١] وتؤكد الدراسات :أن هناك ٢٠٠ إيماءة تستخدم في ٢٨ دولة. [٢] .

والحق :

أن اللغة الإشارية لغة قائمة برأسها باعتبارها مدخلاً رئيساً لتعليم الصم تتحكم بها أسس ،وتنظمها قوانين ،وقد اعترفت الدول التي تسمى متطورة بها بالنظر إليها على أنها لغة أقليات [٣] ، فقد صارت فيها كل حركة مخصوصة تتعلم ولا تكتسب حمالة لدلالة لا يهتدي إلى معناها إلا أهل التواضع ،وأصبح فيها . أعنى في اللغة الإشارية . دال حركي ، ومدلول معنوي ، ويجمع هذا كله معجم خاص [٤].

---

(١) البصائر والذخائر . أبو حيان التوحيدي، (ت ٤٠٠هـ) ٥ / ١٥١ المحقق: د/ وداد القاضي الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

(٢) لغة الجسد . ماركو سابى . فيليب رونى . ص ١١٦ . ترجمة محمد ممتاز . الناشر دار الخلود للتراث القاهرة ط أولى ٢٠١٢ م .

(٣) انظر:البيان بلا لسان . مهدي عرار . ص٣٠ عن سمير دبابنة، نافذة على تعليم الصم ، ص١٩٦

(٤) انظر : القاموس الإشارى للصم . ماجدة سيد عبيد . ط١ ، نشر على نفقة المؤلفة ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٩٢ م

وقد قُسمت الإشارات التواصلية التي يستعملها الصم إلى قسمين [١] :

أولها وصفية : وهى الإشارات اليدوية التي تصف فكرة ما ، أو شيئاً ، وتحاول أن تجعله مشخصاً ممثلاً مرسوماً باليد ؛ وذلك نحو " رفع اليد" للتعبير عن الطول ، أو " فتح الذراعين " للتعبير عن الكثرة ، أو تضييق المسافة بين الإبهام والسبابة للدلالة على الصغر .

وثانيها غير وصفية : وهى الإشارات الخاصة الحمالات لدلالات خاصة تعارف عليها الصم الذين تعلموها ، فانعقد عليها إجماعهم ، فصارت من خاص تعبيرهم الحركي الدال على معانٍ ،ومن ذلك أن الإشارة إلى الأعلى هي للدلالة على " شئ حسن " ، وأن الإشارة بالإصبع إلى الأسفل للدلالة على شيء ردئ.

وخلاصة القول :

إن الدراسات العلمية المتخصصة في مجال الاتصال الإنساني من علماء الشرق والغرب أثبتت أن اللغة غير اللفظية من الأمور المتفق عليها بين الثقافات المختلفة وعلى المستوى المحلى والعالمي ، ولا ريب أن هذا مما يبرز أهمية لغة الإشارة في التواصل الإنساني ، ويفتح باب الأمل أمام الدعاة إلى الله تعالى في إمكانية الدعوة إلى الله تعالى بالإشارة في البيئات المختلفة ؛ إذا أنها تتناسب مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها .

---

(١) انظر : البيان بلا لسان . عرار . ص٣٩ نقلا عن: ماجدة عبيد ، السامعون بأعينهم ،ص ٢٥٢

المبحث الرابع : العلاقة بين التواصل اللفظي وغير اللفظي وأثرها في عملية الاتصال الدعوى

وتأتى أهمية هذا المبحث في الدراسة من ناحية أن اللغة غير اللفظية تتزامن غالباً مع اللغة اللفظية في معظم المواقف والحالات سواء من الناحية التواصلية ، أم من الناحية الدلالية ، وفيما يلى بيان ذلك في المطلبين التاليين :

المطلب الأول: العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية التواصلية

إن اللغة غير اللفظية تتزامن غالباً مع اللغة اللفظية في معظم المواقف الاتصالية بين الناس مما يستدعى التأصيل لهذه القضية من الناحية التواصلية ، حيث إن الاتصال غير اللفظي . الذي قد يتم بصورة منفصلة عن الكلام أو بصورة مصاحبة له ـ وهو الذي عرفه الدكتور / محمد الأمين بقوله :"هو الرسائل التواصلية الموجودة في الكون الذي نعيشه ، ونتلقاها عبر حواسنا الخمس ، ويتم تداولها عبر قنوات متعددة ، وتشمل كل الرسائل التواصلية حتى تلك التي تتداخل مع اللغة اللفظية والتي تعتبر من ضمن بنيتها . وتتجلى وسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك العين ، وتعبيرات الوجه ، والإيماءات، وحركات الجسد ، وهيئة الجسد وأوضاعه ، والشم ، واللمس ، ومفهوم الزمن ، وترتيب البيئة الطبيعية ، والاصطناعية "[١] .

---

(١) الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم . محمد أحمد ، الأمين . ص٤٠ .

فالاتصال اللفظي ليس هو الوسيلة الوحيدة التي يتواصل بها الإنسان مع الآخرين فبالإضافة للكُلام المنطوق هناك الكتابة وإشارات وحركات الجسم والناظر في هذا التعريف يرى أنه شامل لكل أقسام الاتصال الإنساني ، وهو يتفق مع ما أبرزه الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) في بيانه لعملية الاتصال ، حيث جعلها في خمسة أنواع من الاتصال [١] :

١) النصبة: وهي الإشارة الصامتة والمعبرة عن مكنونها بمظهرها الخارجي، وهي "الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد". يقول الجاحظ: "سل الأرض فقل: من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، فإذا لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً" .

٢) الإشارة : وهي بواسطة الجوارح يعبّر بها عن مكنون نفسه، من مثل تحريك اليد أو الرأس سلباً أو إيجاباً للدلالة على نعم أو لا.

٣) العقد : وهو ضرب من الحساب يتم بأصابع اليدين، دون اللفظ والخط.

٤) الخط : وهو الكتابة بالقلم أو بغيره كالأزميل في المرقوم، والكي على الجلد، فكل هذه صور ودلالات.

٥) اللفظ : وهو الكلام المنطوق بوصفه إشارة ودلالة.

فقد أشار الجاحظ في كتابه المذكور سلفاً إلى نوعي الاتصال الرئيسيين حيث حصر الدلالات على المعاني في نوعين : الدلالة اللفظية ، وغير اللفظية ومن جهة الدلالة على المعنى باللفظ وغير اللفظ تضم أصناف الدلالات خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد هي (اللفظ، والإشارة ، والعقد ، والخط ، والحال ، ثم النصبة) .

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ . ج١ ص ٨٢ .

ويعد الجاحظ . رحمه الله . هو أول من لفت الأنظار إلى هذا النوع من البيان أعنى (الاتصال غير اللفظي) ، وبيّن ماهيته ، وفصل أنواعه ، وقال فيه ما لم يُسبق إليه .

والإشارة منها الصواب ، ومنها الخطأ ، وذلك مرجعه إلى توافق الإشارة مع اللفظ ، أو تعارضها معه ، فإذا وافقت الإشارة اللفظ صارت صحيحة، وصار المعنى بليغاً ، ووصل إلى القلب في صورة بهية .

أما إذا خالفت الإشارة اللفظ ، فإن المعنى يكتنفه الغموض ، ويلتبس على المتلقي المراد ، فيقع في اضطراب ، ويظل المعنى غامضاً ؛ لأن صاحبه لم يحسن إخراجه ؛ لما بين اللفظ والإشارة من تنافر ، وذاك عيب أي عيب . يقول الجاحظ وهو يتكلم عن حد البيان : ". وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون إظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع. " (١).

ولقد نقل الجاحظ – رحمه الله – عن إسحاق بن حسان بن قوهيّ أنه قال : لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط. سئل ما البلاغة ؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا وخطبا، ومنها ما يكون رسائل. فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة. " (٢).

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ . ج ١ / ص٨١ ، ٢٤٥ .

(٢) البيان والتبيين المؤلف: بالجاحظ . ١ /١١٤ .

وهذا نص صريح في أن البلاغة تكون في الإشارة كما هي في الكلام ، وإن كان الأصل في البيان هو اللفظ ، ولكنه ينبه على الوسائل الأخرى، ومن أعلاها الإشارة ، فهي وإن لم تكن تستقل – غالباً – بالدلالة، فهي عون للفظ في البيان ، وإذا توارى اللفظ لسبب أو لآخر برزت هي لتنوب عنه ،لأنها رديفته ،وتالية له في تصوير المراد .

وقد نبه الجاحظ لأهمية اللغة غير اللفظية في عملية الاتصال والتخاطب وعلاقتها الوثيقة باللغة اللفظية في هذا المقام فقال : " والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط. وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة، وحلية موصوفة، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها" (١) .

ويعتبر الجاحظ أن الإشارة أبلغ من العبارة فهي عنده من مكملات الكلام أو متمماته فيقول : " ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت. فهذا أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت. والصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف. ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف. وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان . "(٢). وبهذا أبان الجاحظ . رحمه الله . عن عمق الصلة بين لغة الإشارة والعبارة ، وإنابة كلا منهما عن الآخر في البيان والإفصاح عن المعاني ، في ميدان التواصل الإنساني .

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ . ج١ ص ٨٣ .

(٢) البيان والتبيين . الجاحظ . ج١ ص ٨٤ .

وتؤكد الدراسات العلمية في مجال الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث على أهمية اللغة غير اللفظية في التواصل مع الآخرين ، واستحالة انفصال الاتصال اللفظي بالعبارة عن الاتصال غير اللفظي بالإشارة " فبصورة عامة يندر أن يكون الشخص المتحدث جامداً غير متحرك، بل غالباً ما يصحب كلامه حركات للرأس واليدين والقدمين والعينين، والتي تقوم بدورٍ مهم في الاتصال البشري. لأن هذه الحركات إنما تُعبر تعبيراً بليغاً عن المشاعر والانفعالات والعواطف وردود الفعل، سواء كانت حركات مقصودة أو غير مقصودة [١].

ولا يمكن لنا في تواصلنا مع الناس أن نفصل بين اللغة الناطقة بالكلام واللغة الصامتة بالإشارة والحركات " فالتعامل مع الناس عملية شاملة متعددة الجوانب، فيها عقل يفكر، ولسان ينطق، وجوارح تتحرك، ومظهرٌ يُشاهَد. ولا بدّ للإنسان أن ينتبه إلى هذه الجوانب كلها، وإنّ أيَّ خللٍ في أحدها ربما يكون له تأثير سلبي سيبدو عاجلاً أم آجلاً "[٢].

فالاتصال الناطق لا يمكن أن يتم بمعزل عن الاتصال الصامت كالحركة والإشارة والتي غالباً ما تصاحب الكلام المنطوق في عملية التواصل الفعال .

---

(١) الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث . د/ سامية جابر . ص ٦٣، ٦٤.

(٢) لا تكن شبحاً . علي الحمادي . ص٦١ .

المطلب الثاني : العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية الدلالية .

والحقيقة المشاهدةُ لكل ذي لب وبصيرة أن الناس يتفاهمون ويتواصلون عبر وسائل وقنوات متعددة سمعية وبصرية ولمسية ، ولا يمكن أن يتحقق الاتصال عبر المنطوق والمكتوب فقط " فالناس يستعينون في تفاهمهم وتواصلهم بالوسائل السمعية والبصرية والإشارات والمحاكاة للآخرين، فالاتصال في الأساس هو عملية اجتماعية ، ونحن لا نحقق الاتصال فقط بالكلام المنطوق أو المكتوب ، وإنما أيضا من خلال مجموعة من الأفعال المتعددة كأن يتم التفاهم بالابتسامة أو التهجم والعبوس أو عن طريق الإشارات أو بحركة الرأس أو المصافحة باليد، أو هز المنكبين أو المعانقة أو بواسطة الدفع واللكم ، إضافة إلى ذلك فإن الاتصال يتحقق بأساليب أخرى مثل نوع اللباس والمظهر العام للإنسان " [١].

وللحركات والإشارات دلالات يستشفها المتلقي ، ويفهم من خلالها الرسالة التي يريد أن يوصلها الآخر " فكل إيماءة وحركة من أطرافك تشكل لغة بحد ذاتها ، ويكفي أن تراقب شخصاً ما لتفهم من حركات رأسه وأصابعه ما يريد أن يقول ، وتعرف من طريقة جلوسه وملامح وجهه حالته النفسية ، ولغة الجسد من الوسائل السامية التي تحقق الكثير من التجاوب بين الناس"[٢].

والعلماء الذين تكلموا عن لغة الجسد اليومية ما زالوا يؤكدون على أهميتها في التواصل الإنساني ، وعلى أنها أساسية وجوهرية في توصيل المعلومة ، أو ما يدور في خلجات النفس الإنسانية يقول د / نضال أبو عياش:" لا يقتصر نقل الأفكار والمعاني على استخدام الكلمات المقروءة أو

---

(١) الإعلام وسيلة ورسالة . ميرل جون ولوينشاين ، ت الحارثي ، الرياض ، دار الصريخ ١٩٨٩ .

(٢) سيكولوجيا الدافعية والانفعالات . محمد بني يونس . ص٣٤٠.

المنطوقة ، بل هناك وسائل يتم من خلالها الاتصال ، وتكاد تكون أكثر من تلك التي نتبادلها من خلال الاتصال اللفظي ... فإذا كان الحوار الجيد فناً يتطلب استعداداً فطرياً وخبرة مكتسبة في الوقت نفسه ؛ فإن الحركة والإشارة والإيماءة تعد وسائل اتصال أساسية وجوهرية في هذا المستوى من الحوار" (١).

ويمكن لنا توضيح طبيعة العلاقة الدلالية القائمة بين الاتصالين اللفظي وغير اللفظي من خلال بيان وظائف الاتصال غير اللفظي في عملية التواصل مع الآخرين والمتمثلة في الأمور التالية (٢):

١) الإعادة والتكرار : حيث يقوم الاتصال غير اللفظي بإعادة ما قلناه لفظياً ، ومثال ذلك : عندما يذكر المعلم رقمًا معينًا ويمثل ذلك الرقم بأصابعه، أو يرسمه في الهواء، وذلك لتأكيد المفهوم.

٢) التناقض : يمكن للسلوك غير اللفظي أن يتناقض السلوك اللفظي ، ومثال ذلك: المدير الذى يطلب من موظفه أن يحضر له أوراقاً معينة أمام زبون . ثم يقوم بإعطائه إشارة من عينه بألا يحضرها ، فالموظف هنا تلقى رسالتين الأولى لفظية والثانية صامتة وهذه كانت أكثر تصديقا وثقة بالنسبة للموظف .

٣) الإبدال : يمكن للاتصال غير اللفظي أن يكون بديلاً للاتصال اللفظي فتعبيرات الوجه قد تُغنى عن الكلام . كأن يقوم المعلم بالإشارة لبعض الطلاب لنفي أو تأييد ممارسة سلوك ما عن طريق الرسائل غير اللفظية كالإشارة، ونحوها .

---

(١) الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق . نضال أبو عياش . ص١١٩ .

(٢) الاتصال الجماهيري . صالح أبو أصبع . ص ٤٣،٤٤ . ط دار الشروق عمان، ط(١) ١٩٨٨م .

٤) التكميل : يمكن للاتصال غير اللفظي أن يكون مكملاً أو معدلاً للرسائل اللفظية ، ومثلٌ ذلك عندما يروي المعلم قصة يجسد أحداثها من خلال حركات وتعبيرات الوجه ، مما يساعد علي تكوين صورة متكاملة، ومثل الابتسامة بعد أن تطلب شيئا من شخص، أو مثل أن تضرب المنضدة بعد أن تتفوه بعبارة ما

٥) التأكيد : ويتم ذلك باستخدام الاتصال غير اللفظي للتأكيد على الرسائل اللفظية كأن يقوم الشخص بالتركيز صوتيا على كلمات معينة أثناء حديثه ليؤكد على أهميتها ، وبتعبيرات الوجه ليؤكد على الرسالة التي يريدها .

٦) التنظيم : يمكن للاتصال غير اللفظي أن يقوم بتنظيم وربط الاتصال بين المشاركين ، ومثال ذلك : وإعطاء إشارة للشخص ليكمل الحديث أو يتوقف عنه ، وكلها تعتبر وظائف تنظيمية يقوم بها الاتصال الصامت .

خلاصة القول : ومن خلال ما سبق تتضح لنا العلاقة الوثيقة بين الاتصالين اللفظي (بالعبارة) وغير اللفظي (بالإشارة)، والتي تتمثل في الإكمال حيث تتوافق الرسالة اللفظية مع غير اللفظية وتتكامل معها ؛ مما يؤدي لتفاعل جيد، حيث تصدر الكلمات و تصاحبها الإيماءة أو الإشارة، والتكرار حيث تكرر الرسالة غير اللفظية للرسالة اللفظية، والإبدال حيث يمكن أن تستبدل الرسائل اللفظية برسائل غير لفظية ، والتأكيد : ويتمّ ذلك باستخدام الاتصال غير اللفظي لتأكيد الرسائل اللفظية التنظيم ، وبهذا يظهر أن الاتصال بالإشارة هو الجزء الأهم من أيّ رسالة تنتقل إلى المستقبل في عملية التواصل ، إضافة إلى أنه يفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية الاتصال الفعال .

المبحث الخامس : ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي .

يُعد الاتصال غير اللفظي من الوسائل المهمة لتوصيل الدعوة إلى المدعوين وذلك من خلال العديد من المهارات والقنوات مثل : (تعابير الوجه، والإيماءات، والإشارات، وحركات العيون، والهيئة، والمظهر، والصوت، والدلالات الزمنية، والمكانية ... إلخ) ويقوم هذا المبحث على رصد بعض مهارات الاتصال غير اللفظي وضوابطه في ضوء المنهج النبوي الشريف وذلك لأمرين :

الأول : حتى تكون مستندا شرعياً للدعاة إلى الله تعالى .

الثاني : بيان كيفية الاستفادة من الاتصال غير اللفظي في توصيل الدعوة للمدعو وفق الضوابط الإسلامية الصحيحة . وهذا ما سأتناوله في المطالب التالية :

المطلب الأول: ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي بالهيئة الجسدية في المنهج النبوي

للتوصل غير اللفظي دور فعال في التواصل الدعوى ، والعلاقة بينه وبين الاتصال اللفظي علاقة تكاملية لتحقق الإلقاء الجيد والفعال في ميدان العمل الدعوى ، لهذا كان للإشارة أثرها الواضح في إثارة الانتباه ، وتقوية الدلالة ، والإشارات تعمل عل توضيح المعاني وتثبيتها في نفوس المدعوين.

والمتتبع لمنهج النبي – ﷺ – في الدعوة يدرك ذلك جيدا ، وللداعية في رسول –ﷺ – المثل الأعلى فقد كان النبي –ﷺ – يستخدم الحركات الجسدية المختلفة ، والهيئات المتباينة في دعوته ، لأنها مِن الوسائل الهامَّة في تدعيم الرسائل التواصلية .

فقد كان النبي -ﷺ- أحياناً يغير الجلسة ،للتعبير عن بعض المعاني التي يريد إيصالها للمدعوين ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، عندما تكلم النبي ﷺ . عن أكبر الكبائر وعددها ، يروى البخاري عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ " (١) .

والمعنى: يعظ النبي ﷺ أصحابه، مبيناً لهم كبائر الذنوب بطريق التنبيه، ليستعدوا لتلقي العلم فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ يكرر ذلك ثلاثا، ليشتاقوا إليه .

فابتدأ بأعظم الذنوب وأشدها خطراً، وهو الشرك بالله .

ثم يُثَنِّى بحق أعظم الناس عليك مِنَّةً. وأكبرهم حقاً، وهما الوالدان اللذان جعلهما الله السبب في وجودك في هذه الحياة .

يحدث النبي -ﷺ- أصحابه بهذه المواعظ وهو متكئ. فلما أراد أن يحذرهم من شهادة الزور، اهتم وتحفز، فاعتدل في جلسته لعظم الأمر وجلل الخطب فقال : "ألا وقول الزور، وشهادة، الزور". فما زال يكررها ويحذر منها حتى اشتد به الأمر وتمنى الصحابة أن يسكت، لما حصل عنده من التأثر والتحمس عند ذكرها، لما في هذه الشهادة [الآثمة] من الأضرار الكثيرة والمفاسد الكبيرة التي يطول عدها، ولا يمكن حصرها ويستفاد من هذا الحيث ما يلى :

---

(١) صحيح البخاري . بَابٌ: عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ مِنَ الكَبَائِرِ ٨/ ٤ . ح ٥٩٧٦ .

١) خطر شهادة الزور وقول الزور وتحريمه، فقد اهتم بهما النبي- ﷺ - باعتدال هيئته، وتكرير التحذير منها، لما فيها من المفاسد العظيمة، من قطع حق صاحب الحق، وإدخال الظلم على المشهود له، والكذب، والبهتان، وتضليل القضاة، فيحكموا بما هو خلاف الحق في الباطن.

٢) اهتمام النبي - ﷺ - واغتمامه لشهادة الزور، لأن الناس يتساهلون فيها فيجترئون عليها أكثر مما يجترئون على غيرها من المعاصي.

٣) حسن تعليمه - ﷺ- ونصحه لأمته حينما ألقى عليهم هذه المسائل المهمة بطريق التنبيه، ليكون أعلق في أذهانهم، وأرسخ في قلوبهم. (١).

٤) وقوله - ﷺ- : (وكان متكئاً فجلس) تنبيهاً على عظم إثم وقبح شهادة الزور... فاحتيج إلى الاهتمام بشأنه لأن مفسدته متعدية إلى الغير بخلاف ما معه فقاصرة عليه " (٢).

وفي هذا الحديث فوائد متعددة للداعية في مجال الاتصال غير اللفظي منها :

جواز تغير الهيئة الجسدية في ميدان العمل الدعوى من قيام، وجلوس، واتكاء .

تغير الحركات الجسدية من الداعية في أمور الحلال والحرام حسب موضوع الدعوة الذى يتناوله حتى يحدث الأثر في المدعو .

ضبط الحركات والهيئات الجسدية من الداعية على المنهج النبوي فعين المدعو متعلقة بالداعية ،فلا يكثر من الإشارة حتى لا يخرج عن حد

---

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام . عبد الله بن حمد البسام . ١/ ٧٠٤ . طبعة مكتبة التابعين، القاهرة الطبعة: العاشرة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م .

(٢) دليل الفالحين، البكري ٣/ ١٧٩ . ط : دار المعرفة بيروت ، ط الرابعة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

الوقار، بل التوسط أعدل الأحوال، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ، قَالَ: رَأَى بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ عَلَى الْمِنْبَرِ رَافِعًا يَدَيْهِ، فَقَالَ: «قَبَّحَ اللهُ هَاتَيْنِ الْيَدَيْنِ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- مَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الْمُسَبِّحَةِ» (١).

والتزام الداعية بهذه النصائح الغالية له مردوده الدعوى والذي يتمثل فيما يلي :

أ- تحقيق الثقة بالذات لدى الداعية .

ب- تحقيق التواصل الدعوى الإيجابي والفعال مع المدعو .

ت- ضمان نجاح العمل الدعوى من حيث توصيل الدعوة بصورة صحيحة .

وخلاصة القول :

لا بد من مراعاة عدم الإكثار من الحركات والإشارات؛ لأن كثرتها تصرف السامع عن الانتباه، وإنما يأتي بها في مواضعها الملائمة، ويجعلها موافقة، وأن لا يحجب عن الناظرين وجهه بيده أو يديه كما سبق ؛ فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، وكلما أشرك الداعية المستمعين بحواسهم معه في اللقاء كلما كان حضورهم الذهني معه ، وفهمهم لرسائله ، واستيعابهم لمضامينه ، ولما يريد أن يوصله للمدعوين .

---

(١) صحيح مسلم . ٢ / ٥٩٥ / ح ٨٧٤ . بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ .

المطلب الثاني : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة باليد في ضوء المنهج النبوي.

ولَمَّا كانتِ الإشارة باليد ممَّا يكثر استعمالُه للتعبيرِ عن المعاني، وخاصَّة مِن لدن الخطيب الذي يرْتَقي المِنبر، أو الواعِظ الذي يُلقي درسًا أو محاضرة ؛ وجَب التنبيهُ على بعضِ الأمور التي تجعَل الخطيب متوازنًا معتدلاً في تصرُّفاته وحركاته كما هو مطلوبٌ منه أن يكون متوازنًا معتدلاً في كلامِه وطرْحه وأسلوبه .

وقد عقد ابن أبي الإصبع .رحمه الله . (ت ٦٥٤ هـ) بابا للإشارة ونقل فيه ضوابط الإشارة باليد في المنهج النبوي الشريف وشرحه شرحاً مفصلاً ، فنقل عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه . (١) في وصف رسول الله - ﷺ - أنه : " كان يشير بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، وإذا حدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى " فوصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، يعني أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات. (٢) .

ثم راح ابن أبى أصبع يشرح هذا ، فقال : وقوله: " كلها " أي يفهم بها المخاطب كل ما أراده بسهولة فإن الإشارة ببعض الكف تصعب، وبكل

---

(١) هند بن أبي هالة : تميمي من بني أسيد بن عَمْرو بن تميم، وهو ربيب رسول الله ﷺ أمه خديجة بنت خويلد زوج النَّبِيّ ﷺ وأخواته لأمه: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليهن السلام.وَكَانَ أبوه حليف بني عبد الدار،.وشهد هند بن أبي هالة بدرا، وقيل: بَلْ شهد أحدا، وقتل هند بن أبي هالة مع عَليّ يوم الجمل، وانقرض عقبه فلا عقب لَهُم.وروى هند بن أبي هالة حديث صفة النَّبِيّ ﷺ. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير- ٥ / ٣٨٩ . دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن . ابن أبي الإصبع . ص ٢٠٠..

الكف تسهل، فأعلمنا هذا الوصف أنه -ﷺ- كان سهل الإشارة ، كما كان سهل العبارة.

وهذا ضرب من البلاغة الذي يمتدح بمثله، وهو أيضاً من بلاغة الواصف إذ أشار بقوله: كلها إلى كل المقصود الذي تدل عليه الإشارة، ومن حذق الواصف إتيانه بلفظ الإشارة في الوصف، لما أراد أن يصف الإشارة البديعية وقسمها قسمين: قسماً للسان وقسماً لليد.

وقوله : " وإذا تعجب قلبها "، يعني أنه يشير بها على وجهها إذا كان المعنى الذي يشير إليه على وجهه ليس فيه ما يستغرب فيعجب منه، فإن الشيء المعجب إنما يكون معجباً لكونه غير معهود، فكأن الأمر فيه قد قلب لمخالفته المعهود، فلذلك يجعل -ﷺ- قلب يده في وقت الإشارة إشارة إلى أن هذا الأمر قد جاء على خلاف المعهود، ولذلك تعجب منه.

وقوله " وإذا حدث اتصل بها " يعني اتصل حديثه بها فيكون المعنى متصلاً، والمفهوم بالعبارة والإشارة متلاحماً، آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض.

وقوله : " فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى " يعني أنه عند انتهاء إشارته يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى مشيراً إلى أنه ختم الإشارة، لأن الإبهام بها يختم القبض، ولذلك عطف هذه الجملة بالفاء، ولم يأت بها معطوفة بالواو، كما أتى بما قبلها من الجمل لكونها آخر إشاراته، والواو لكونها غير مقتضية للترتيب، يجوز أن يكون المتأخر بها متقدماً ولا كذلك الفاء، إذ لا بد أن يكون المعطوف بها متأخراً لكونها موضوعة للتعقيب. وأما اقتصاره على باطن الإبهام دون ظاهرها فمعناه أنه جعل آخر الإشارة متصلاً بأول العبارة اتصالاً متلائماً كملاءمة باطن الكف التي

ضرب بها باطن الإبهام التي ضرب عليها، وهذه أيضاً من بلاغة الواصف رضي الله عنه "[١] .

وهذا كلام نفيس وصريح في بيان قدرة الإشارة علي حمل المعاني ، وتكوين الدلالات ، ولأنه يضع أصولاً لقواعد هذه الدلالة ، وهذه الأصول لابد للداعية أن يتعلمها حتى يستطيع أن يخرج مراده ويختار له ما يناسبه من ألوان البيان لفظا كان أو إشارة .

وللداعية في الرسول -ﷺ- المثل الأعلى فقد كان النبي -ﷺ- يستخدم الإشارة في دعوته ، لأنها مِن الوسائل الهامَّة والنافِعة في تدعيم الرسائل التواصلية ، وإيضاح المعاني ، و تفهيمِ المدعوين ، لذا اهتمَّ الرسولُ-ﷺ- باستخدامها كثيرًا في خُطَبه ومواعظه؛ للتعبيرِ عن مشاعرِه، وعن بيانِ معاني الإسلام ، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يفهمون ما يَرْمي إليه الرسولُ ﷺ. مِن رسائلَ من خلال إشاراته، ويُدركون معانيَها ودلالتها العظيمة، ومن أمثلة استخدامه -ﷺ- للغة الإشارة باليد ما رواه البخاري قال -ﷺ- : (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، فأشار بإصبعيه السبابة والوسطى) . [٢]

والإشارة بهاتين الإصبعين ورد في أحاديث كثيرة، وقال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه) . [٣] وقال: (التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات) [٤].

---

(١) تحرير التحبير . ابن أبي الإصبع . ص ٢٠٠ .

(٢) صحيح البخاري . ٧ / ٥٣ . ح ٥٣٠٤ بَابُ اللِّعَانِ .

(٣) صحيح البخاري . ١ / ١٠٣ . ٤٨١ بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ.

(٤) صحيح مسلم: ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ٤/ ١٩٨٦ . ح ٢٥٦٤ .

المطلب الثالث : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة بالعين (لغة العيون) في ضوء المنهج النبوي .

من المتفق عليه أن (لغة العيون) من أهم وسائل الإشارة ، فالإشارة كما تكون باليد والأصابع والرأس تكون أيضاً بالعين وهذا مما يدل على أن لنظرات العيون دور مهم في ميدان العمل الدعوى ومن هنا فإن لنظرات العيون في أثناء التعامل مع الآخرين ضوابطاً لا بد من مراعاتها .

إنَّ بإمكان الداعية أن يقنع مستمعيه بعينيه كما يقنعهم بكلماته، وأن يريهم في عينيه مدى اقتناعه بفكرته، وبعينيه أيضًا يمكنه أن يقيس درجة انتباه المدعويين ، ويلحظ تركيزهم من نظرات أعينهم.

وفى السنة النبوية ما يوضح هذا المعنى روى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ . "[1] .

---

(١) صحيح البخاري . بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ٦ / ٣ . ح ٤٤١٨ .

فقد استخدم النبي -ﷺ- لغة العيون في معاقبة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك ، وفهموا تماماً الرسالة الموجة إليهم من النبي - ﷺ-فلغة العيون يفهم منها الكره والبغض ، والحب ، والحسد ، والفرح ، والحزن ، وهي لغة موحدة يفهمها كل الناس مهما اختلفت الأوطان ولأجناس والثقافات والأديان ولقد صدق ابن الأعرابي في قوله:

العين تبدي الذي في نفس صاحبها ... من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا [1] .

فيمكن للداعية أن يتواصل مع المدعوين بلغة العيون ، وأن يقرر أفكاره ويثبتها بنفس اللغة إن أحسن توظيفها في ميدان التواصل الدعوى .

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ . ١ / ٩٥ .

المطلب الرابع : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة فيما يتعلق بالمتممات في ضوء المنهج النبوي .

ونقصد بالمتممات الأمور التي تلحق بالداعية كحسن المظهر العام والملابس ، والعمامة ، والعصا ، فعلى الداعية أن يتهيأ تهيأ حسنا بما يليق ومقام الدعوة إلى الله تعالى بشتى وسائلها ، فيرتدي أجود ثيابه ، وهذا الأمر مما يتفق مع المبادئ الأساسية في الإسلام . وَالْأَحَادِيثُ والآثار والمرويات فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، وَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى النَّظَافَةِ وَحُسْنِ الْهَيْئَةِ ، فالداعية مطالب شرعاً وعقلاً أن يتحلى بأجود ما يجد من اللباس ، وأن يظهر في أحسن هيئة وذلك في كافة لقاءاته بالمدعوين ، وهو في ذلك كله مقتدياً بسيد الدعاة محمد – ﷺ– وكذا بصحابته الكرام ، إذا كانوا يظهرون في أجمل صورة وأبهى مظهر لا كبراً ولا خيلاء إنما اقتداء بسيد الدعاة . وسند الداعية في ذلك هذا الأمر قدوة الدعاة وسيد الخلق سيدنا محمد – ﷺ– والأثار الدالة على ذلك كثيرة منها :

١) ما رواه أبو دود في السنن عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قال له النَّبِيِّ – ﷺ– وقد ظهر فِي ثَوْبٍ دُونٍ « ِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَكَرَامَتِهِ»[(١)] .

٢) وفي مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ . ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[(٢)].

٣) وعن البَرَاءَ قال: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنَ النَّبِيِّ –ﷺ – »[(٣)] .

---

(١) سنن أبي داود: . كِتَاب التَّرَجُّلِ . بَابٌ غَسْلِ الثَّوْبِ ٤ / ٧٥ ح٤١٦١ وقال الألباني : صحيح.

(٢) صحيح مسلم: . بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ ١/ ٩٣ . ح ١٤٧ .

(٣) صحيح البخاري . بَابُ الجَعْدِ . ٧/ ١٦١ . ح ٥٩٠١ .

هذا بعض ما ورد في أهمية الاعتناء بالمظهر والهيئة من أناقة وتشذيب وأن ذلك نمط إسلامي يلتزمه المسلم في حياته العامة والخاصة، لاسيما في المناسبات كالخطب ونحوها دون غلو ولا تهاون، وينبغي للداعية أن يكون على هذا المنوال في سائر أحواله لأنه موضع القدوة حتى في زيه وسمته ومظهره فلا يعدل عن الزينة المباحة إلى الرثاثة مع قدرته على تجنبها.

ومن العناية بالمظهر الاعتناء بلباس التقوى في الأقوال والأفعال، فيعفي لحيته إتباعا لسنة النبي -ﷺ- ويحف شواربه بأن يأخذ منها ويقلم أظافره ويستاك ويتطيب ولا يسبل إزاره.. إلى غير ذلك من سنن الفطرة ، ومن تطابق قوله وفعله وتناسب سمته وهيئته صار له من القبول في القلوب بقدر إخلاصه وصدقه ورفعه الله . عز وجل . بذلك درجات في الدنيا والآخرة.

ولا شك أن لِلِبَاس الإنسان ومظهره الخارجي دورٌ أساسي في إعطاء الانطباع الأول عن صاحبه ، فالإنسان أول ما ينظر ينظر إلى مظهر وشكل من يتعامل معه، فيترك ذلك انطباعاً في نفس الناظر وأثراً على طبيعة تعامل الناس بعضهم مع بعض" فالملابس تؤدي دوراً مهماً في عملية الاتصال، فهي تعبر عن الانفعالات والمشاعر فضلاً عن أنها تؤثر في سلوك من يرتديها وسلوك الآخرين نحوه ، ومن ثم فهي تعدُّ ذات قيمة اتصالية كبيرة "[١] .

فاللبس والزى والهندام المناسب، المظهر العام، السمت والوقار ومدى تطابق القول والفعل ثلاثة أمور جوهرية. في عملية الاتصال عبر اللغة الصامتة (لغة الإشارة) وهى من متممات لغة الجسم وتعطى إشارة

(١)انظر: الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث سامية جابر، ص٦٤. لا تكن شبحاً ،الحمادي ، ص٦١.

على مكانة الشخص ،وطبقته الاجتماعية ، ومستوى تعليمه ، ومدى انتمائه الديني .

ذكر الجاحظ [١] أن إياس بن معاوية . وهو من من البلغاء والخطباء . أتى حلقة من حلق قريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس، ورأوه أحمر دميما باذّ الهيئة، قشفا، فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا له: الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زيّ مسكين، تكلمنا بكلام الملوك.

ومما يلحق بالمتممات العمامة ، وقد كانت العرب تفضل للخطيب أن يلبس العمامة فهى من عاداتهم المفضلة يدل على ذلك :

قول سيدنا عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- : " العمائم تيجان العرب."

وقال سيدنا علي بن أبي طالب - رضى الله عنه- : " جمال الرجل في عمّته"

وقيل لأعرابي: إنك لتكثر لبس العمامة؟ قال: إن شيئا فيه السمع والبصر لجدير أن يوقي من الحر والقر." [٢] .إذن فالعمامة لها خصائص متعددة منها :

أ- أنها دلالة على أصالة العرب لأنها من زيهم وعاداتهم المفضلة .

ب- وهى محققة للوقار، حيث إنها تؤدى نفس وظيفة التاج الذى يوضع على رؤس الملوك في الأمم غير العربية .

ت- وهى أيضاً صيانة للرأس من الحر والقر، وحفظاً لما تحويه من سمع وبصر .

ث- كما أنها من أهم مظاهر الجمال الخارجي للرجال عند العرب .

---

(١) البيان والتبيين . الجاحظ . ج١ ص ١٠٠ ، ص ٢٠٠ .

(٢) البيان والتبيين . الجاحظ . ج ٢ ص ٥٩ ، ج ٣ ص ٦٩ .

ولهذا كله اعتاد الخطباء في العالم الإسلامي على لبس العمامة إضافة إلى الجبة وهى ما يعرف حديثا بـ (الكاكولا) أو الزى الأزهري ، وارتداؤه من الدعاة من الأمور الهامة للغاية في عملية التأثير في نفوس المخاطبين ، خاصة وقد اعتاد الناس هذا المظهر الرائع ، وألفوه ، وصار موضع احترام ، وتقدير الجميع .

والمقصود من ذلك كله أن يكونَ الداعية ذا مهابة ووقار عند المخاطبين ضماناً لنجاح عملية الاتصال بينه وبين المدعوين ، وذلك بجمال المظهر الذى تحدثنا عنه ، وهذا بالإضافة إلى جمال المخبر الذى يتحقق بالتزام الداعية وتخلقه " بخُلُقَ الورَع والخوف مِن الله، كما هو دَأب أوْلياءِ الله الصَّالِحين، حتَّى تعظِّمَه النفوس، وتنقاد إلى سماعِه الآذان، فلا يظهر بمظْهَر الهازل أمامَ مَن يدعوهم، وأعظم ما يُحقق له هذا المقصودُ هو تقوى الله، وترجمة ما يقوله إلى واقِعٍ ملموس، فإنَّ ما في الباطن يؤثِّر – بلا شكٍّ – على المظهر، ومَن خشَع قلبُه سَكَنتْ جوارحه، فلا يحتاج إلى التصنُّع أو المداهنة. "(١)

وخلاصة القول :

إذا كان لِلّباس والمظهر الخارجي هذا الأثر في نفوس الآخرين، فعلينا كدعاة إلى الله تعالى استغلال مظاهرنا الخارجية للتوجيه نحو الخير والتأثير الإيجابي، لم للباس الداعية ومظهره الخارجي من صلة وثيقة بعملية الاتصال والتأثير الدعوى الفعال في ميان العمل الدعوى .

---

(١) انظر:الإشارة في الخطابة الأستاذ / مرشد الحيالي . شبكة الألوكة ٢٠١٠/٨/٨ /١٤٣١ .

المبحث السادس : نماذج تطبيقية للتواصل غير اللفظي ودلالته التأثيرية في المدعوين في ضوء المنهج النبوي

اتفقت كلمة علماء اللغة والبيان على أن البيان النبوي يقف على قمة البيان البشري ؛ لأنه البيان الذي صدر عن المعصوم- ﷺ - الذي وصفه ربه (وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى (٤)) [١] .

والباحث المدقق يدرك أن للاتصال غير اللفظي بالإشارة في البيان النبوي مقام رفيع ، لا يقل عن الاتصال اللفظي بالعبارة ، وقد حمل في طياته الكثير من الأحكام ، والتكاليف ، والوصايا ، والترغيب ، والترهيب ، وكان له دوره الفعال في إيصال المعاني وتكوين الدلالات في نفوس وأذهان المدعوين .

وقد حمل البيان النبوي بالإشارة كافة ألوان البلاغة ، وحفلت السنة النبوية المطهرة بنماذج متعددة للتواصل غير اللفظي كشفت لنا عن الاستخدام النبوي لمهارات الاتصال غير اللفظي (بالإشارة) في ميدان الدعوة الإسلامية في دعوة النبي -ﷺ- ومدى علم الصحابة بهذه اللغة ، وفهمهم للخطاب النبوي فيما يبلغ عن الله تعالى بلغة الإشارة .

وفى الصفحات التالية نبين من خلال المرويات علم النبي - ﷺ - بهذه اللغة وكذا صحابته الكرام ، وبيان استخدمه - ﷺ- لهذه اللغة ، ونماذج تطبيقية لدعوته - ﷺ - وبيان عمقها التأثيرى في المدعويين ، ليستفيد منها دعاة اليوم في كيفية البلاغ عن الله تعالى . وذلك في المطالب التالية :

---

(١) سورة النجم : الآيتين ٣، ٤ .

المطلب الأول : الاتصال غير اللفظي (بالإشارة) في المنهج النبوي من الناحية الدلالية .

ظهر في البيان النبوي أن للاتصال غير اللفظي بالإشارة من الناحية الدلالية وظائف متعددة ومتباينة، فقد تكون الإشارة مؤكدة للمعنى المنطوق ، وقد تكون نائبة عن المعنى المنطوق ، فتقوم مقامه ، وقد يراد بها الإيجاز والاختصار للمعنى فقد يشير بحركة واحدة إلى معان كثيرة ، ولقد ذكرت كتب الحديث النبوي كثيراً من مهارات الاتصال غير اللفظي في المنهج الدعوى للنبي – ﷺ– كـ : (حركات الجسم وإيماءات اليد للنبي ﷺ، وقد تنوعت أشكالها ودلالتها التأثيرية في المدعوين ، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :-

١- الإشارة باليد للتعيين عند اللبس : فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ»(١).

٢- الإشارة باليد لتكميل المعنى : فعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «وَلاَ حَرَجَ»(٢).

٣- الإشارة باليد للتوضيح فعَنْ سَالِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ

---

(١) صحيح البخاري/ بَابُ السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ/ ج ١ ص ١٦٢ حديث رقم ٨١٢ .

(٢) صحيح البخاري/ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ/ ج ١ ص ٢٨ حديث رقم ٨٤ .

الهَرْجُ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»(١).

٤- الإشارة باليد لبيان الكم : فعَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا» وَخَنَسَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ"(٢).

٥- الإشارة بديلاً عن العبارة : فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا» وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ: أَيِ الشَّطْرَ، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُمْ فَاقْضِهِ»(٣).

٦- تشبيك الأصابع لتأكيد المعنى فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"(٤).

وهذا مما يدل على شدة الصلة بين اللغة المنطوقة واللغة المنظورة ، أو بمعنى آخر: "الإشارة والعبارة" .

والناظر لكتب الحديث النبوي الشريف يجد أنها سجلت الكثير من الحركات والإشارات الصادرة عن النبي . ﷺ . والتي لها دلالاتها ومعانيها ،

---

(١) صحيح البخاري/ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ/ ج ١ ص ٢٨ حديث رقم ٨٥ .

(٢) صحيح البخاري/ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ . «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا »/ ج ٣ ص ٢٧ ح ١٩٠٨

(٣) صحيح البخاري/ بَابُ التَّقَاضِي وَالمُلاَزَمَةِ فِي المَسْجِدِ/ ج ١ ص ٩٩ حديث رقم ٤٥٧ .

(٤) صحيح البخاري/ بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ/ ج ١ ص ١٠٣ حديث رقم ٤٨١.

والأوراق القادمة تكشف بعضاً من علاقة البيان بالإشارة ، وكيف تحمل حركة الجسد تشبيهاً أو توكيداً ، أو غير ذلك من ألوان البلاغة ، وكأن الإشارة فيها من علم المعاني والبيان والبديع ، وفى التقسيمات التالية بيان ذلك [١] :

أولاً : التوكيد بالإشارة :

لقد جاءت أحاديث كثيرة ترى فيها الإشارة مؤكدة للفظ ، ومدعمة له ومن هذا الباب ما رواه مسلم فيما جاء في فتح خيبر أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ قَاتَلَ أَخِي قِتَالًا شَدِيدًا مَعَ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-، فَارْتَدَّ عَلَيْهِ سَيْفُهُ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-فِي ذَلِكَ، وَشَكُّوا فِيهِ رَجُلٌ مَاتَ فِي سِلَاحِهِ ، وَشَكُّوا فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ سَلَمَةُ: فَقَفَلَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-مِنْ خَيْبَرَ ... فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ نَاسًا لَيَهَابُونَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، يَقُولُونَ: رَجُلٌ مَاتَ بِسِلَاحِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا» ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ ثُمَّ سَأَلْتُ ابْنًا لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ. فَحَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ مِثْلَ ذَلِكَ غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ - حِينَ قُلْتُ: إِنَّ نَاسًا يَهَابُونَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ - فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «كَذَبُوا مَاتَ جَاهِدًا مُجَاهِدًا، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ» وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ "[٢] .

فقوله : مرتين ، ثم يشير بإصبعيه إنما هي توكيد لفظي لأن المقام في حاجة إلى ذلك ... فأكد النبي -ﷺ-كلامه بالإشارة ، لتكون الإشارة توكيداً لا يبقى معه لبس ، ولا غموض في فوز أخي سلمة بالجنة ، والشهادة في سبيل الله تعالى . فالآذان ستظل تذكر كلام النبي -ﷺ- والعيون كذلك ستظل ترى هذه الإشارة المصاحبة للفظ لتكون بياناً توكيدياً لها .

---

(١) استفدت هذا التقسيم من بحث بعنوان : بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق د / سعيد جمعة . بتصرف . بحث على الشبكة العالمية . موقع ملتقى أهل التفسير . ٤ رمضان ١٤٢٦ هـ

(٢) صحيح مسلم - بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ ٣/ ١٤٢٩ . ح (١٨٠٢) .

ثانياً : التعريف بالإشارة :

إذا صاحبت الإشارة الحسية باليد لفظاً منطوقاً كان ذلك أبلغ في توصيل المعاني للمخاطبين وكل هذا يدل على قدرة الإشارة الحسية على حمل المعاني ، بل إن أسماء الإشارة لا تتخيل إلا إذا صاحبتها حركات حسية ، يلفت بها المتكلم نظر السامع إلى ما يريد .ومن هذا الباب ما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ،-فَلَمَّا قَرَأَ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ -ﷺ- حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»[(١)]

فقوله " لناله رجال من هؤلاء " صاحبه إشارة حسية تمثلت في حركة وضع يده على سلمان الفارسي ، حتى يكون التمييز في أكمل صورة ، وبخاصة أن السائل صار في شوق إلى معرفة هذه الطائفة التي تلحق بالسابقين الأولين ووضع اليد على سيدنا سلمان قصد به رجال من أهل فارس ، وهذا يفسره رواية أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: " لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ رِجَالٌ مِنْ فَارِسَ حَتَّى يَتَنَاوَلُوهُ " [(٢)] .

---

(١) صحيح مسلم – بَابُ فَضْلِ فَارِسَ . ٢ / ١٩٧٢ . ح(٢٥٤٦).

(٢) مسند أحمد ١٣ / ٤٤٥ . ح ٨٠٨١ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : صحيح على شرط مسلم.

فليس المقصود اختصاص أهل فارس بسبب فارسيتهم ، وإنما المقصود ما يتحلون به من طاعة والتزام [١] وعلى هذا فالإشارة الحسية تلفت انتباه الناس إلى صفات هذه الطائفة ، التي تتحلى بالإيمان ، ولو كان عند الثريا . ووضع اليد على سيدنا سلمان يعني أنه كان متحلياً بهذه الصفات فجاءت الإشارة الحسية لينظر الجميع إليه ، وإلى صفاته فيكون ذلك دافعاً إلى التشبه به .

ثالثاً : دلالة الإشارة على المحذوف :

قد تأتي الإشارة لتدل على لفظ محذوف لكنه مراد في المعنى ، وعدم التصريح بهذا اللفظ له أسباب كثيرة : مثل : الاختصار ، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر ، أو ضيق المقام ...الخ .

ومن ذلك ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ»[٢] .

وفى رواية مسلم قَالَ ﷺ . : «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ، وَلَا أَكُفَّ ثَوْبًا وَلَا شَعْرًا» [٣] .والحديث حذف منه لفظ " الأنف " وإن كان أشير إليه باليد ، لأن الأصل في الرأس الجبهة ، فالسجود عليها هو الفرض ويتبع ذلك الأنف . وكان التصريح بالجبهة ، وحذف الأنف يعني أن كلا

---

(١) ولقد نقل ابن حجر بعضاً مما جاء في أسباب نيل هؤلاء هذه الدرجة، ومنها:(رِقَّةِ قُلُوبِهِمْ) . يَتَّبِعُونَ سُنَّتِي (وَيُكْثِرُونَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ) .قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَقَعَ مَا قَالَهُ ﷺ . عِيَانًا فَإِنَّهُ وُجِدَ مِنْهُمْ مَنِ اشْتَهَرَ ذِكْرُهُ مِنْ حُفَّاظِ الْآثَارِ وَالْعِنَايَةِ بِهَا مَا لَمْ يُشَارِكْهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَحَدٍ غَيْرِهِمْ . " فتح الباري . ابن حجر العسقلاني . ٨ / ٦٤٣،دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

(٢) صحيح البخارى بَابُ السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ ١/ ١٦٢ . ح ٨١٢

(٣) صحيح مسلم بَابُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ ١ / ٣٥٤ . ح ٤٩٠ .

منهما ليسا علي درجة واحدة في السجود. [١] وعليه فإن الحذف هنا لا يقل درجة عن الذكر لأن الإشارة نبهت على المحذوف ، وزادته إيضاحاً فوق اللفظ .

رابعاً : دلالة الإشارة على التشبيه :

للتشبيه في البيان العربي منزلة عالية ، قال عنها الإمام عبد القاهر : " وهل تشكُّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشئِم والمُعْرِق، وهو يُرِيكَ للمعاني الممثَّلة بالأوهام شَبَهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، ويُنطق لك الأخرس، ويُعطيك البيان من الأعجم، ويُريك الحياةَ في الجماد، ويريك التئامَ عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموغين، والماءِ والنارِ مجتمعين " [٢] .

ولذا يستعان بالإشارة في الصورة التشبيهية ، لأن بينهما علاقة قوية فالغرض الأول من التشبيه هو البيان والإيضاح ، وليس هناك أقوى من الإشارة في إبراز المعاني في صور مشاهدة محسوسة تراها العيون ،

---

(١) قال ابن حجر : قَالَ الْقُرْطُبِيُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَبْهَةَ الأَصْل فِي السُّجُود وَالْأَنف تبع ،وَقَالَ بن دَقِيقِ الْعِيدِ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمَا جُعِلَا كَعُضْوٍ وَاحِدٍ وَإِلَّا لَكَانَتِ الْأَعْضَاءُ ثَمَانِيَةً قَالَ وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يُكْتَفَى بِالسُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ كَمَا يُكْتَفَى بِالسُّجُودِ عَلَى بَعْضِ الْجَبْهَةِ وَقَدِ احْتُجَّ بِهَذَا لِأَبِي حَنِيفَةَ فِي الِاكْتِفَاءِ بِالسُّجُودِ عَلَى الْأَنْفِ قَالَ : وَالْحَقُّ أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يُعَارِضُ التَّصْرِيحَ بِذِكْرِ الْجَبْهَةِ وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُمَا كَعُضْوٍ وَاحِدٍ فَذَاكَ فِي التَّسْمِيَةِ وَالْعِبَارَةِ لَا فِي الْحُكْمِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْإِشَارَةَ قَدْ لَا تُعَيِّنُ الْمُشَارَ إِلَيْهِ فَإِنَّهَا إِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِالْجَبْهَةِ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ فَإِذَا تَقَارَبَ مَا فِي الْجَبْهَةِ أَمْكَنَ أَنْ لَا يُعَيَّنَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ يَقِينًا وَأَمَّا الْعِبَارَةُ فَإِنَّهَا مُعَيِّنَةٌ لِمَا وُضِعَتْ لَهُ فَتَقْدِيمُهُ أَوْلَى انْتَهَى فتح الباري ٢ / ٢٩٦.

(٢) أسرار البلاغة . الجرجاني . ص ١٣٢ . مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

وتتلمسها الأيادي . ومن هذا ما رواه سيدنا عمار بن ياسر قال : " بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ الْمَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَمَرَّغُ الدَّابَّةُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هَكَذَا» ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الْأَرْضَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ مَسَحَ الشِّمَالَ عَلَى الْيَمِينِ، وَظَاهِرَ كَفَّيْهِ" .(١) .

ولا شك أن صنيع سيدنا عمار إنما كان بعد سماعه قول الله تعالى : " (فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً) (المائدة:٦) لأنه لن يفعل شيئاً دون دليل ، لكن الآية لم تبين كيفية التطهر ، ولا مقداره ..، لذلك بالغ سيدنا عمار فعم الجسد بالتراب . وكان تعليمه من الصورة الإشارية التشبيهية ، فقام النبي -ﷺ- بتعليمه عملياً ، وهو ينظر ، ولو افترضنا لفظاً يقوم مقام الإشارة ، لما وفى بالبيان العملي لكيفية الضرب للأرض ، وعدد المرات وما الذي يبدأ به من الأعضاء ؟ ، وإلى أي مدى يكون المسح ؟ ولقد كانت الإشارة وافية بجميع هذه الأسئلة ، فالتعليم هنا تعليم بالمشاهدة ، فالرسول -ﷺ- أمره أن يتشبه بأفعاله ، ففي الكلام تشبيه . المشبه هنا سيكون تيمم سيدنا عمار .والمشبه به هو تيمم رسول الله -ﷺ-ووجه الشبه هو الإتيان بأركان التيمم على الوجه الصحيح .وتم ذلك من خلال الإشارة التي دلت على المعاني الكثيرة بحركات يسيرة ، ولذلك سكت اللسان وقامت اليدان لتقول بحركاتها ، وتقلباتها ليرى الجميع فيحصل المراد .

خامساً : إخراج المعنوي في صورة المحسوس :

تحدث البلاغيون عن إخراج المعنوي في صورة المحسوس ، وذلك في باب البيان عن طريق التشبيه ، أو الاستعارة ، أو التعبير بالمضارع ، وغير

---

(١) صحيح مسلم . بَابُ التَّيَمُّمِ ١ / ٢٨٠ / ح (٣٦٨).

ذلك . لكن الإشارة كما أرى أقوى أثراً من كل ذلك لأن الإشارة لا تكتفي بإخراج المعنوي في صورة المحسوس ، وإنما تقوم بتصويره وتجسيده ، فيتحول الأمر إلى صور حية مشاهدة تراها العيون ، ومن ثم يتفاعل معها المتلقي ؛ فيرسخ المعنى في القلب رسوخاً لا مزيد عليه . ومن هذا ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر ، قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، فَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»[١]

فجملة " يمسح الدم عن وجهه " فهم منها المراد ، لكن قيام النبي -ﷺ-بتجسيد هذه الحركة زادت المعنى شخوصاً ؛ لأنها عمدت إلى المتلقي ، ونبهت عينه إلى أن ينظر إلى المعنى وهو يتحرك أمامه .كما أن في هذه الإشارة بعضاً من التخفيف والترويح عن الصحابة الذين ضاقوا بتعذيب الكفار لهم ، فكان في هذه الصورة التي حكاها النبي تأنيساً وترويحاً عنهم من شدة ما لاقوه .

سادساً : الطباق بالإشارة :

الطباق عند العلماء هو "الجمع بين المتضادين ، أي بين معنيين متقابلين في الجملة ...ولو في بعض الصور ، سواء كان التقابل حقيقياً ، أو اعتبارياً " [٢].

وعلى هذا يمكن اعتبار بعض مقامات الإشارة دالة على هذا الطباق ، ومثال ذلك ما ورد في حجة الوداع عن سيدنا جابر بن عبد الله ،

---

(١) صحيح البخاري . بَابُ إِذَا عَرَّضَ الذِّمِّيُّ وَغَيْرُهُ بِسَبِّ النَّبِيِّ صَ ٩ / ١٦ . ح ٦٩٢٩.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري ، ٧ /٩٨ ط دار الكتب ، القاهرة ،ط الأولى، ١٤٢٣ هـ

عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ." [١]

فرفع اليد إلى السماء ، ثم نكتها إلى الناس صورة تقابلية لها دلالة ولا شك وهذه الإشارة المتقابلة جاءت في أعقاب قولهم : نشهد أنك قد بلغت وأديت ، ونصحت .فهل تفيد الإشارة أن السماء تشهد كذلك كما تشهدون ؟ أم أن المقصود الدعاء إلى الله سبحانه وتعالى بأن يسجل عليهم شهاداتهم ؟ أم أن الإشارة تعني أن الملائكة في السماء ، وسكان الأرض ، والجميع يشهد ، فاللهم فاشهد ؟إن هذه المعاني كلها قد تكون مرادة ، لكن الشاهد هو هذه الحركة باليد أو بالأصبع ، مرة إلى السماء ، وأخرى إلى الناس ، وأن الغرض منها تأكيد الشهادة ، أو الإلحاح على الله تعالى بالشهادة عليهم . [٢] .

(١) صحيح مسلم - بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ٢ / ٨٨٦ . ح (١٢١٨).

(٢) انظر : بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق د / سعيد جمعة ، بتصرف .

المطلب الثاني : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية النفسية.

المتتبع للمنهج النبوي يرى أن التواصل بالإشارة ظاهر من الناحية النفسية أيما ظهور ، فقد كانت الحركات والإشارات النبوية ، والهيئات الجسدية المتنوعة له -ﷺ- باليد ، والوجه ، والرأس ، والجسد ، دوال على أحواله الداخلية ، وكواشف عن كوامن نفسية داخلية للنبى -ﷺ- ولقد سجلت كتب الحديث الكثير من الحركات المركبة والتي لها دلالتها ووظائفها ، وقد عبر النبي-ﷺ- بهيئات جسده وأوضاعه المختلفة عن معان كثيرة ومنها ما يلي :-

١) تمعر الوجه دلالة على الغضب وعدم الرضا : فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ-ﷺ-عَنْ اللُّقَطَةِ، قَالَ: «عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اعْرِفْ وِكَاءَهَا وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ اسْتَنْفِقْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا، فَأَدِّهَا إِلَيْهِ» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «خُذْهَا، فَإِنَّمَا هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ» ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ - أَوِ احْمَرَّ وَجْهُهُ - ثُمَّ قَالَ: «مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا، وَسِقَاؤُهَا، حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا»[1] ، والوجنة هِيَ اللَّحْمُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْخَدَّيْنِ وَيُقَالُ رَجُلٌ مُوجِنٌ وَوَاجِنٌ أَيْ عَظِيمُ الْوَجْنَةِ وَجَمْعُهَا وَجَنَاتٌ وَيَجِيءُ فِيهَا اللُّغَاتُ الْمَعْرُوفَةُ فِي جَمْعِ قَصْعَةٍ وَحُجْرَةٍ وَكِسْرَةٍ وَفِيهِ جَوَازُ الْفَتْوَى وَالْحُكْمِ فِي حَالِ الْغَضَبِ وَأَنَّهُ نَافِذٌ لَكِنْ يُكْرَهُ ذَلِكَ فِي حَقِّنَا وَلَا يُكْرَهُ فِي

(١) صحيح البخاري/ بَابُ إِذَا جَاءَ صَاحِبُ اللُّقَطَةِ بَعْدَ سَنَةٍ رَدَّهَا عَلَيْهِ، لِأَنَّهَا وَدِيعَةٌ ج ٣ ص ١٢٦ .

حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لِأَنَّهُ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ فِي الْغَضَبِ مَا يُخَافُ عَلَيْنَا(١).

٢) حركة الرأس لأعلى دلالة على الإصغاء : فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا القِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

٣) التبسم للتعجب : فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، كَانَ يَقُولُ: أَللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، ... ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي..." (٣) .

٤) ضرب الفخذ للتعجب : فعَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ . لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: {وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا}(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم للإمام النووي ج١٢ ص ٢٤ ./ دار إحياء التراث العربي بيروت١٣٩٢هـ

(٢) صحيح البخاري/ بَابُ مَنْ سَأَلَ، وَهُوَ قَائِمٌ، عَالِمًا جَالِسًا/ ج ١ ص ٣٦ حديث رقم ١٢٣ .

(٣) صحيح البخاري/ بَابُ كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ ص/ ج ٨ ص ٩٦ حديث رقم ٦٤٥٢ .

(٤) صحيح البخاري/ بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ ﷺ . عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ / ج ٢ ص ٥٠ حديث رقم ١١٢٧ .

٥) تغيير حركة الجسم لتقرير المعاني : وظهر ذلك في تغّير هيئة الجسم للنبي صلى الله عليه وسلم أثناء الخطاب العام في حجة الوداع حينما قال: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» ، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ "، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» ، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ - قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ "[1]. وهي حالة تغيير الخطاب من الخلق للخالق، ومن التبليغ إلى الإشهاد .

٦) تغّير الوضع الجسمي دلالة على تغيّر فحوى الخطاب لأهمية الأمر التالي مثل: تغيّر الهيئة من الإتكاء إلى الجلوس، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ[2].

---

(١) صحيح البخاري/ بَابُ بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى/ ج ٢ ص ١٧٦ حديث رقم ١٧٣٩ .

(٢) صحيح البخاري/ بَابٌ حَدِّ الْمَرِيضِ أَنْ يَشْهَدَ الْجَمَاعَةَ (٢/ ١٥٢) فتح .

٧) الإشارة بالرأس إيجابا: (قِيلَ لِلأَعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاتِهِ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ بِرَأْسِهِ نَعَم) [١].

٨) الإشارة المقرونة بالنطق: عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه!ِ قَالَ:َ(بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ) ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ، فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ) [٢]. والمقصود من الحديث هنا قوله " ثم قال بيده فقبض أصابعه ثم بسطهن كالرامي بيده " ففيه استعمال الإشارة المفهمة مقرونة بالنطق، وقوله كالرامي بيده أي كالذي يكون بيده الشيء قد ضم أصابعه عليه ثم رماه فانتشرت.

٩) الضحك والابتسام للإقرار والتصديق: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ حَبْرٌ مِنْ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ وَسَائِرَ الْخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]. [٣]. قال النووي: وظاهر السياق أنه ضحك

---

(١) صحيح البخاري/ كِتَاب الطَّلاقِ باب اللِّعَانِ (٤٣٩/٩) فتح .

(٢) صحيح البخاري/ بَابٌ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ مِنَ الكَبَائِرِ/ ج ٨ ص ٤ حديث رقم ٥٩٧٦ .

(٣) صحيح البخاري/ كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. باب قَوْلِهِ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. (٥٥٠/٨) فتح .

تصديقا له بدليل قراءته الآية التي تدل على صدق ما قال الحبر، والأولى في هذه الأشياء الكف عن التأويل مع اعتقاد التنزيه، فإن كل ما يستلزم النقص من ظاهرها غير مراد. وقوله: (حتى بدت نواجذه) أي أنيابه، وليس ذلك منافيا للحديث الآخر أن ضحكه كان تبسما ، وفي رواية للبخاري فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له وعَن عَبْدِ الله قَالَ: "فَضَحِكَ النبيّ صلى الله عليه وسلم تَعَجّباً وتَصْدِيقاً".(١) ، وفي رواية عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: أُتِيَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِثَلَاثَةٍ، وَهُوَ بِالْيَمَنِ وَقَعُوا عَلَى امْرَأَةٍ فِي طُهْرٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ اثْنَيْنِ: أَتُقِرَّانِ لِهَذَا بِالْوَلَدِ؟ قَالَا: لَا، حَتَّى سَأَلَهُمْ جَمِيعًا، فَجَعَلَ كُلَّمَا سَأَلَ اثْنَيْنِ، قَالَا: لَا، فَأَقْرَعَ بَيْنَهُمْ فَأَلْحَقَ الْوَلَدَ بِالَّذِي صَارَتْ عَلَيْهِ الْقُرْعَةُ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ ثُلُثَيِ الدِّيَةِ، قَالَ: «فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ».(٢) .

١٠) القيام والخروج والدخول لينفض الجالسون: عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ مَقْدَمَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - الْمَدِينَةَ، فَخَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - عَشْرًا حَيَاتَهُ وَكُنْتُ أَعْلَمَ النَّاسِ بِشَأْنِ الْحِجَابِ حِينَ أُنْزِلَ وَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ يَسْأَلُنِي عَنْهُ وَكَانَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ فِي مُبْتَنَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَصْبَحَ النَّبِيُّ - ﷺ - بِهَا عَرُوسًا فَدَعَا الْقَوْمَ فَأَصَابُوا مِنْ الطَّعَامِ ثُمَّ خَرَجُوا وَبَقِيَ مِنْهُمْ رَهْطٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَطَالُوا الْمُكْثَ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَخَرَجَ وَخَرَجْتُ مَعَهُ كَيْ يَخْرُجُوا فَمَشَى

---

(١) قال الترمزى: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ. كتاب تفسير القرآن. باب ومن سورة الزمر. (٣٢٣٩) .

(٢) سنن أبي داود . بَابُ مَنْ قَالَ بِالْقُرْعَةِ إِذَا تَنَازَعُوا فِي الْوَلَدِ . ٢/ ٢٨١ / ٢٢٧٠ .

رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- وَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى جَاءَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ثُمَّ ظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ فَإِذَا هُمْ جُلُوسٌ لَمْ يَتَفَرَّقُوا فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَرَجَعْتُ مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ عَتَبَةَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَظَنَّ أَنْ قَدْ خَرَجُوا فَرَجَعَ وَرَجَعْتُ مَعَهُ فَإِذَا هُمْ قَدْ خَرَجُوا فَأُنْزِلَ آيَةُ الْحِجَابِ فَضَرَبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِتْرًا " . (١) .

١١) استخدام الأصبع لتأكيد الأمر واثباته: عن طارق بن عبد الرحمن القرشي قال جاء رافع بن رفاعة إلى مجلس الأنصار فقال لقد نهانا نبي الله - ﷺ - اليوم فذكر أشياء (ونهى عن كسب الأمة إلا ما عملت بيدها وقال هكذا بأصبعه نحو الخبز والغزل والنقش) (٢) .

وخلاصة القول :

١) لقد تعددت وظائف الحركات والإيماءات والإشارات في ضوء النصوص المقدسة ، فأحياناً تكون المصاحبة، وأحياناً تكميلية، وأحياناً ضدية، وأحياناً دالة على تغيّر المسار في الموضوع المطروح،وأحياناً استبدالية.

٢) هناك ارتباط وثيق بين لغة الإشارة ولغة العبارة .

٣) أن السلوكيات الحركية تتنوع إلى : تعبيرات الوجه والعينين ، الإشارات والحركات الجسمية ، والهيئات والأوضاع ، ولكل منها دلالاتها التعبيرية، ووظائفها الدلالية .

٤) أن السلوكيات الحركية بكافة أنواعها وأشكالها السابقة تساهم إسهاماً كبيراً في بيان المعاني والأفكار .

---

(١) صحيح البخاري في الاسْتِئْذَانِ. باب آيَةِ الْحِجَابِ. (٢٢/١١) .

(٢) سنن أبي داود . كتاب البيوع باب في كسب الإماء (٣٤٢٦) .

٥) أن الإشارة الواحدة تتعدد معانيها وتختلف دلالتها حسب الأحوال ، وتفهم في ضوء الوقائع الملائمة .

٦) من الممكن أن تستقل الإشارة بالبيان الكامل في عملية التواصل الإنساني بشرط أن يجمع الموقف الاتصالي بين المتكلم والمخاطب زماناً ومكاناً .

المطلب الثالث : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية الدعوية عقيدة وتشريعا وأخلاقا .

أما من الوجهة الدعوية عقيدة وتشريعاً وأخلاقاً فالناظر للبيان النبوي يدرك أن للاتصال غير اللفظي بالإشارة دور بالغ في تقرير الكثير من أصول الدعوة الإسلامية في العقائد ، والشرائع ، والأخلاق ، وذلك بشتى الأساليب البيانية الدعوية من الترغيب والترهيب ، والوعظ والتعليم ، وذلك لبيان المنهج الإسلامي وتوصيله للمدعويين عبر الوسائل المختلفة.

والمتتبع للمنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى يجد أن النبي -ﷺ- قد استخدم الاتصال غير اللفظي بالإشارة في دعوته للناس جميعاً ، فضلاً عن الصم والبكم ، مما يدل على مشروعية هذا العمل الدعوى من ناحية ، وعلى فاعليته في ميدان العمل الدعوى من ناحية أخرى .

كما أن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا بارعين في معرفة لغة الإشارة ، فقد كانوا يعرفون من خلال أفعال الرسول -ﷺ-وإيماءاته كافة أحواله .

وقد حرص الرواة علي نقل ألفاظه وإشاراته وأحواله -ﷺ- فتري الراوي مثلاً يقول : قال رسول الله -ﷺ- كذا - وأشار بإصبعيه ، أو أشار إلي الأرض ، أو وأشار إلي جهة كذا... إلخ .

وهذه النصوص التي حرص الرواة علي نقلها ليست من النوافل في عالم البيان ، بل إن لها دوراً فاعلاً في عالم الاتصال لا يقل عن دور الكلمة ، لذلك نقلها الرواة كما هي ، وقد عرف العلماء علم الحديث بأنه "علم يعرف به أقوال رسول الله -ﷺ-وأفعاله وأحواله"[1] وما أفعال الرسول -ﷺ- إلا لغة الإشارة وفيما يلى أعرض لبعض النماذج الدعوية التطبيقية لتوظيف اللغة غير اللفظية بالإشارة في ضوء المنهج النبوي الشريف وذلك في مجال العقائد والعبادات والأخلاق .

أولاً : نماذج تطبيقية للدعوة بالإشارة في منهج النبي ﷺ في المجال العقدي :

وردت نصوص عديدة في السنة النبوية تدل على استخدام النبي -ﷺ- للغة غير اللفظية بالإشارة في مجال الدعوة للعقيدة الإسلامية الصحيحة واعتماده على لغة الإشارة وقبولها ممن لا يحسن الكلام كالصم والبكم وذلك في مجال العقائد الإسلامية ومن استخدامات النبي -ﷺ-للإشارة في المجال العقدي ما يلى :

١) ففي مجال الإيمان بالله تعالى : نجد أن النبي -ﷺ- قد استخدم الاتصال غير اللفظي بالإشارة في أخص وأهم جزء من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى وذلك كما في حديث الجارية الذى أخرجه أبوداود في السنن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- بِجَارِيَةٍ

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين السيوطي، ص٢٧، مكتبة الكوثر ١٤١٨ هـ.

سَوْدَاءَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلَيَّ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِأُصْبُعِهَا، فَقَالَ لَهَا: «فَمَنْ أَنَا؟» فَأَشَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- وَإِلَى السَّمَاءِ يَعْنِي أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» (١) وأخرج أحمد في المسند عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- بِجَارِيَةٍ سَوْدَاءَ أَعْجَمِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَلَيَّ عِتْقَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ: " أَيْنَ اللهُ؟ " فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ بِإِصْبَعِهَا السَّبَّابَةِ، فَقَالَ لَهَا: " مَنْ أَنَا؟ " فَأَشَارَتْ بِإِصْبَعِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَإِلَى السَّمَاءِ، أَيْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: " أَعْتِقْهَا " (٢) . ويعلق الشيخ الشنقيطي على هذا الحديث قائلاً : " اعْلَمْ أَنَّهُ دَلَّتْ أَدِلَّةٌ عَلَى قِيَامِ الْإِشَارَةِ الْمُفْهِمَةِ مَقَامَ الْكَلَامِ، ...فَمِنَ الْأَدِلَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى قِيَامِ الْإِشَارَةِ مَقَامَ الْكَلَامِ قِصَّةُ الْأَمَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «أَيْنَ اللَّهُ» ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ -ﷺ-: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» فَجَعَلَ إِشَارَتَهَا كَنُطْقِهَا فِي الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّيَانَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يُعْصَمُ بِهِ الدَّمُ وَالْمَالُ، وَتُسْتَحَقُّ بِهِ الْجَنَّةُ، وَيُنَجَّى بِهِ مِنَ النَّارِ. (٣) ويدلل أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْكَلَامِ، بقوله " وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ السُّنَّةِ، وَآكَدُ الْإِشَارَاتِ مَا حَكَمَ بِهِ النَّبِيُّ -ﷺ- مِنْ

---

(١) سنن أبي داود . ٣/ ٢٣٠ / ح ٣٢٨٤ - كِتَاب الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ . بَابٌ فِي الرَّقَبَةِ الْمُؤْمِنَةِ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣ / ٢٨٥ / ح٧٩٠٦ . وقال المحقق: شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لاختلاط المسعودي ...و قال ابن عبد البر في "التمهيد" ١١٤/٩، والحديث مرسلاً في "الموطأ" برواية يحيى الليثي ٧٧٧/٢....ووصله معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن رجل من الأنصار: أنه جاء بأمة سوداء ... فذكره، وهذا إسناد صحيح، "المسند" ٤٥١/٣-٤٥٢

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي . ٣ / ٤٠٢ .

أَمْرِ السَّوْدَاءِ حِينَ قَالَ لَهَا:» أَيْنَ اللَّهُ ؟ « فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ:» أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ « فَأَجَازَ الْإِسْلَامَ بِالْإِشَارَةِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي يُحْرَزُ بِهِ الدَّمُ وَالْمَالُ، وَتُسْتَحَقُّ بِهِ الْجَنَّةُ وَيُنَجَّى بِهِ مِنَ النَّارِ، وَحَكَمَ بِإِيمَانِهَا كَمَا يَحْكُمُ بِنُطْقِ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ، فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ عَامِلَةً فِي سَائِرِ الدِّيَانَةِ، وَهُوَ قَوْلُ عَامَّةِ الْفُقَهَاءِ. " (١) .

٢) وفى مجال الإيمان باليوم الآخر : استخدم النبي -ﷺ-الاتصال غير اللفظي بالإشارة في توصيل هذا المعنى للمدعوين ففي ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرَضِينَ فِي الْقِيَامَةِ روى الإمام أحمد في مسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ، وَرَسُولُ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: " يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ " فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ " (٢) . وفى صحيح مسلم قال : عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: " يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ " حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ -ﷺ- ؟ (٣). والروايات كلها متفقة، فالرسول-ﷺ-بسط

---

(١) الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي . أبو عبد الله القرطبي . ٤ / ٨١ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل . ٩ / ٣٠٤ / ٥٤١٤ – مسند ابن عمر . وقال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٣) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة ، ج٤ ، ٢١٤٨، ح رقم ٢٧٨٨ .

يده، وجعل باطنهما إلى السماء، وحركهما يقبل بهما ويدبر، وحرك أصابعه أيّ قبضها وبسطها، ولشدة التحريك تزلزل المنبر به -ﷺ-.

٣) وفى مجال إظهار التوحيد لله تعالى : يروى الإمام أحمد في المسند عَنْ " ابْنِ عُمَرَ " - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. كَانَ إِذَا قَعَدَ لِلتَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى وَالْيُمْنَى عَلَى الْيُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلَاثًا وَخَمْسِينَ، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ» . (١) والإشارة هنا للدلالة على التوحيد ولها ثَلَاثُ هَيْئَاتٍ الأولى : جَعَلَ الْإِبْهَامَ تَحْتَ الْمُسَبِّحَةِ مَفْتُوحَةً، وَسَكَتَ فِي هَذِهِ عَنْ بَقِيَّةِ الْأَصَابِعِ، هَلْ تُضَمُّ إِلَى الرَّاحَةِ أَوْ تَبْقَى مَنْشُورَةً عَلَى الرُّكْبَةِ. الثَّانِيَةُ ضَمُّ الْأَصَابِعِ كُلِّهَا عَلَى الرَّاحَةِ، وَالْإِشَارَةُ بِالْمُسَبِّحَةِ. الثَّالِثَةُ التَّحْلِيقُ بَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالْوُسْطَى، ثُمَّ الْإِشَارَةُ بِالسَّبَّابَةِ ... وَمَوْضِعُ الْإِشَارَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَنْوِي بِالْإِشَارَةِ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ فِيهِ؛ فَيَكُونُ جَامِعًا فِي التَّوْحِيدِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ وَالِاعْتِقَادِ والظَّاهِرُ أَنَّهُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ؛ وَوَجْهُ الْحِكْمَةِ شَغْلُ كُلِّ عُضْوٍ بِعِبَادَةٍ. "(٢)

٤) وفى مجال الدعوة للإيمان بالله تعالى :ومَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْبَصَرِ وَالرُّؤْيَةِ لله تعالى يروى أبو داود في سننه أن أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: ٥٨] قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ» ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ» ، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَهَذَا رَدٌّ عَلَى

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج١٠ / ٢٩٥ص /ح ٦١٥٣ مسند عبْدِ اللَّهِ ابن عمر ..

(٢) سبل السلام . الصنعاني بتصرف . ج١ / ٢٨٢ص ، ٢٨٣ الناشر: دار الحديث القاهرة .

الْجَهْمِيَّةِ»[١] . قال البيهقى : " قُلْتُ: وَالْمُرَادُ بِالْإِشَارَةِ الْمَرْوِيَّةِ فِي هَذَا الْخَبَرِ تَحْقِيقُ الْوَصْفِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، فَأَشَارَ إِلَى مَحَلَّيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ مِنَّا لِإِثْبَاتِ صِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، كَمَا يُقَالُ قَبَضَ فُلَانٌ عَلَى مَالِ فُلَانٍ ، وَيُشَارُ بِالْيَدِ عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ حَازَ مَالَهَ ، وَأَفَادَ هَذَا الْخَبَرُ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ لَا عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ عَلِيمٌ ، إِذْ لَوْ كَانَ بِمَعْنَى الْعِلْمَ لَأَشَارَ فِي تَحْقِيقِهِ إِلَى الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الْعُلُومِ مِنَّا ، وَلَيْسَ فِي الْخَبَرِ إِثْبَاتُ الْجَارِحَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ عُلُوًا كَبِيرًا " [٢].

٥) وفى بَابٌ: فِي ذِكْرِ تَجَلِّي رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَبَلِ عِنْدَ كَلامِهِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ" جاء في كتاب السنة عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً} .قَالَ "وَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ طَرَفِ أُنْمُلَتِهِ فَسَاخَ الْجَبَلُ". قَالَ حُمَيْدٌ لِثَابِتٍ تَقُولُ هَكَذَا؟ فوكزه قال: ويقول رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَيَقُولُهُ أَنَسٌ فَأَكْتُمُهُ أَنَا؟![٣] .

٦) وفى بَابُ الإيمان بتَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ ب وإِثْبَاتِ الْأَصَابِعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فقد روى ابن ماجه عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» ،

---

(١) سنن أبي داود . ٣ / ٢٣٣ / ٤٧٢٨ كِتَاب السُّنَّةِ بَابٌ فِي الْجَهْمِيَّةِ [حكم الألباني] : صحيح الإسناد

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي . أبو بكر البيهقي . ١ / ٤٦٢ بَابُ مَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ صِفَةِ الْبَصَرِ وَالرُّؤْيَةِ . طبعة مكتبة السوادي، جدة المملكة العربية السعودية طبعة أولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م

(٣) كتاب السنة . ابن أبي عاصم . ١ / ٢٢١٠ ح رقم ٤٨٠ ، "بَابٌ: فِي ذِكْرِ تَجَلِّي رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِلْجَبَلِ ط المكتب الإسلامي الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . إسناده صحيح على شرط مسلم. ولم يخرجه.

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا» وَأَشَارَ الْأَعْمَشُ بِإِصْبَعَيْهِ[١] . فاستخدم النبي -ﷺ- الإشارة بالأصابع لتوضيح المعنى وتقريره .

٧) وفى بيان معنى مِن معاني العقيدة الإسلامية : حيث خطَب النبي -ﷺ- في أمَّتِه يومَ عرفة، فقال لهم : (ألاَ هل بلغت؟) قالوا: نعم، فرفَع إصبعَه إلى السماء يقول: (اللهمَّ اشهد) [٢] . فهذا الفعْل منه -ﷺ- يدلُّ على علوِّ الله عزَّ وجلَّ.

٨) وعن الأحداث التي تقع في آخر الزمان يروى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -ﷺ- يَقُولُ:» الْفِتْنَةُ مِنْ هُنَا «وَأَشَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ، [٣] وَالْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: «الْفِتْنَةُ مِنْ هُنَا» وَأَشَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَجَعَلَ إِشَارَتَهُ إِلَى الْمَشْرِقِ كَنُطْقِهِ بِذَلِكَ. وفي لفظ لمسلم: ((إنَّ رسولَ الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – قام عندَ باب حفصةَ، فقال بيده نحوَ المشرِق: الفِتنة ها هنا من حيثُ يطلع قرْنُ الشيطان)) قالها مرَّتين أو ثلاثًا) [٤] . وفى هذه الإشارة النبوية باليد دلالة على تقرير المعنى المراد وهو كما يقول ابن بطال : " إن البدع إنما ابتدأت من المشرق، وإن كان الذين اقتتلوا بالجمل وصفين بينهم كثير من أهل الشام والحجاز فإن الفتنة وقعت في ناحية المشرق، وكان ذلك سببًا إلى افتراق كلمة المسلمين وفساد نيات كثير منهم إلى

---

(١) سنن ابن ماجه ٢ / ١٢٦٠ / ح ٣٨٣٤ بَابُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-وقال الألباني:صحيح.

(٢) صحيح البخاري . أبو عبدالله البخاري ١ / ٣٣ . ح١٠٥ . باب ليبلغ الشاهد الغائب .

(٣) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٦ – بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

(٤) صحيح مسلم: ٢ / ٧٥٠ . ح ١٠٦٨) بَابُ الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ .

يوم القيامة، وكان رسول الله يحذر من ذلك ويعلمه قبل وقوعه، وذلك دليل على نبوّته[١].

٩) وفى مجال الغيبيات وفى ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عنْ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا بِجَمِيعِ خَلْقِهِ فِي الْقِيَامَةِ بَابُ ذِكْرِ إِمْسَاكِ اللَّهِ تَعَالَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا عَلَى أَصَابِعِهِ ففى مسند أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ -ﷺ- فَقَالَ: " يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَرَأَ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١] " قَالَ أَبِي: قَالَ يَحْيَى: قَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ . ﷺ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ . وفى المسند عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-: «أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ» قَالَ أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: جَعَلَ يَحْيَى يُشِيرُ بِأَصَابِعِهِ وَأَرَانِي أَبِي كَيْفَ جَعَلَ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ يَضَعُ أُصْبُعًا أُصْبُعًا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . [٢] فانظر كيف استخدم النبي -ﷺ- لغة الإشارة في دعوة هذا اليهودى مرتين :الأولى : ضَحِكَهُ -ﷺ- حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ودلالة هذه الإشارة على المعنى أنها تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ لهذا اليهودي . الثانية : استخدم النبي -ﷺ- أصابع اليد في الإشارة لتقرير المعنى في نفس المستمع .

١٠) وفى بيان علامات الساعة تأتى لغة الإشارة مؤكدة للمعنى فعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ،

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ، ج ١٠ . ص ٤٤ .

(٢) السنة . للإمام أحمد بن حنبل . ١ / ٢٦٤ . ح ٤٨٩ .

وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ! فَقَالَ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَّفَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ. (١). فَجَعَلَ -ﷺ- إِشَارَتَهُ بِيَدِهِ كَنُطْقِهِ، بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْهَرْجِ الْقَتْلُ. وفى الْعَلَامَةِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الدَّجَّالُ عِنْدَ خُرُوجِهِ يروى البخارى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِنْدَ النَّبِيِّ -ﷺ- ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ - وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» (٢) .

واستعمال النبي -ﷺ- للإشارة هنا هى من باب تكميل المعاني وإقرارها في نفوس المخاطبين . وفى بيان بعض علامات الساعة الكبرى : يروى البخاري قال -ﷺ- : «فُتِحَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَعَقَدَ تِسْعِينَ ." (٣) فَجَعَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِشَارَتَهُ بِأَصَابِعِهِ كَعَقْدِ التِّسْعِينَ لِبَيَانِ الْقَدْرِ الَّذِي فُتِحَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ كَالنُّطْقِ بِذَلِكَ.

هذا ، وفي كتب السنة من الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ الكثير من الأحاديث التي على هذا المنوال، والتي تناقلها الرواة قولا وفعلا. مما يدل على أن النبي -ﷺ- قد استعمل لغة الإشارة في الدعوة للعقيدة الإسلامية الصحيحة حتى في بيان صفات الله تعالى مما يدل على مشروعية هذا العمل الدعوى من الدعاة في كل عصر ومصر ويرد على كل من يدعى عدم جواز استخدام لغة الإشارة في باب الصفات لما يوهمه من التشبيه ، ولورود النهى

---

(١) صحيح البخاري . ١ / ٢٨ . ح ٨٥ بَابُ مَنْ أَجَابَ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ وَالرَّأْسِ .

(٢) صحيح البخاري . ٩ / ١٢١ / ح ٧٤٠٧ .

(٣) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٣ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

عن ذلك من بعض السلف [١] وقد رددنا على ذلك من خلال ذكر منهجه -ﷺ- في عرضه لآيات الصفات على المدعوين ، وعلى هؤلاء جميعاً يرد الشيخ ابن تيمية رحمه الله قائلاً : " فَهَلْ امْتَنَعَ الْأَئِمَّة مِنْ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَى عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ. أَمْ مَا زَالَتْ هَذِهِ الْكُتُبُ يَحْضُرُ قِرَاءَتَهَا أُلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وهَلْ كَانُوا يُخْفُونَهَا عَنْ عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَكَاتَمُونَهَا وَيُوصُونَ بِكِتْمَانِهَا، أَمْ كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِهَا كَمَا كَانُوا يُحَدِّثُونَ بِسَائِرِ السُنَنِ "[٢] .

وفى سؤل وجه للشيخ ابن تيمية حول ما المراد بتأويل الصفات فأجاب : فتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول» فالاستواء معلوم يعلم معناه وتفسيره ويترجم بلغة أخرى، وأما كيفية ذلك الاستواء، فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى. [٣] .

---

(١) من ذلك ما روى عن مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ مَنْ وَصَفَ شَيْئًا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ مِثْلَ قَوْلِهِ (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) فَأَشَارَ إِلَى عَيْنَيْهِ أَوْ أُذُنِهِ أَوْ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهِ قُطِعَ ذَلِكَ مِنْهُ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ . التمهيد ، ابن عبد البر- ٧ / ١٤٥. وفى هذا السند انقطاع . وكذا ما روى عن أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، أنه سمع رجلا يقرأ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ..إلى قوله وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} قَالَ: ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: قَطَعَهَا اللَّهُ قَطَعَهَا اللَّهُ قَطَعَهَا اللَّهُ ثُمَّ حَرَدَ وَقَامَ " . شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة . اللالكائي ، ٣ / ٤٧٩ . ط :دار طيبة ، السعودية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .ويحمل إنكار الإمام أحمد فيها على أن هذا الرجل كان يقرأ القرآن فقط ولا حاجة فيما فعل، لكن هذه القصة لم تثبت فقد ذكرها أبو نصر بلاغا.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية . ٦/ ٣٣٢ ، دار الكتب العلمية طبعة: أولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

(٣) الفتوى الحموية الكبرى،ابن تيمية،١ / ٢٩١، دار الصميعي،الرياض ط ثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

فهذا كلام نفيس للشيخ ابن تيمية حول تأويل الصفات وتأمل قوله : (ويترجم بلغة أخرى) يستفاد منه إقراره باستخدام لغة الإشارة للصم والبكم، في توصيل أصول الإيمان لهم ولمن على شاكلتهم .

وبهذا يتضح الفرق بين التمثيل وتوضيح المعنى، فمن أراد أن يمثل افتقر للرؤية بالعين، ومن أراد أن يوضح المعنى أشار بيده كما يشير الأبكم بما يفيد المعنى.

ثانياً : نماذج للتواصل غير اللفظي بالإشارة في منهج النبي -ﷺ- في المجال التشريعي والأخلاقي :

وردت نصوص عديدة في السنة النبوية تدل على استخدام النبي -ﷺ- للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال العبادات والأخلاق ، وَسَنَذْكُرُ هُنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ الْمُفْهِمَةَ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْكَلَامِ في مجال العبادات .

فقد جَاءَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى قِيَامِ الْإِشَارَةِ مَقَامَ الْكَلَامِ فِي أَشْيَاءَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَهَذِهِ جملة من النصوص أذكرها هُنَا، مبيناً وَجْهَ الدَّلَالَةِ منها عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ كَالنُّطْقِ فِي كُلٍّ مِنْهَا :

١) ففيما يتعلق بالأذان وميقاته الصادق في صلاة الفجر : استعمل النبي -ﷺ- الاتصال غير اللفظي بالإشارة روى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: (لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ نِدَاءُ بِلَالٍ – أَوْ قَالَ: أَذَانُهُ مِنْ سُحُورِهِ – فَإِنَّمَا يُنَادِي – أَوْ قَالَ: يُؤَذِّنُ – لِيَرْجِعَ قَائِمُكُمْ وَلَيْسَ أَنْ يَقُولَ. كَأَنَّهُ يَعْنِي الصُّبْحَ أَوِ

الْفَجْرَ . وَأَظْهَرَ يَزِيدُ يَدَيْهِ ثُمَّ مَدَّ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى "[١] وَالْحَدِيثُ جَعَلَ فِيهِ الْإِشَارَةَ بِالْيَدِ إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَجْرِ الْكَاذِبِ وَالْفَجْرِ الصَّادِقِ بِذَلِكَ.

٢) وفى مقام الدعوة لإقامة الصلاة : وهى الركن الثاني من أركان الإسلام بعد لحوقه -ﷺ- بالرفيق الأعلى كانت لغة الإشارة روى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «لَمْ يَخْرُجِ النَّبِيُّ -ﷺ- ثَلاَثًا» ، فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ -ﷺ-: «بِالحِجَابِ فَرَفَعَهُ، فَلَمَّا وَضَحَ وَجْهُ النَّبِيِّ -ﷺ-، مَا نَظَرْنَا مَنْظَرًا كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وَجْهِ النَّبِيِّ -ﷺ- حِينَ وَضَحَ لَنَا، فَأَوْمَأَ النَّبِيُّ -ﷺ- بِيَدِهِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَأَرْخَى النَّبِيُّ -ﷺ- الحِجَابَ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ» [٢] .وفى هذا الحديث جَعَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- إِشَارَتَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ كَنُطْقِهِ لَهُ بِذَلِكَ . وَقَدْ جَعَلَ النَّبِيُّ -ﷺ- فِي هَذَا الْحَدِيثِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ وَقَبْلَ وَفَاتِهِ -ﷺ- بِقَلِيلٍ إِشَارَتَهُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّمَ لِيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ كَنُطْقِهِ لَهُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا رَأَى النَّبِيَّ -ﷺ- كَشَفَ الْحِجَابَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- خَارِجٌ إِلَى الصَّلَاةِ كَمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ، وَقَامَتِ الْإِشَارَةُ مَقَامَ النُّطْقِ.

٣) وفى مقام تعليم الداعية الصلاة للمدعو : تظهر أهمية لغة الإشارة والتى تفيد طلب الاختصار وهذا ما نستفيده من الحديث الذي رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ

---

(١) صحيح البخاري . البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٨ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلَاقِ وَالأُمُورِ .

(٢) صحيح البخاري: البخاري . ١ /١٣٧ . ح ٦٨١ بَابٌ: أَهْلُ العِلْمِ وَالفَضْلِ أَحَقُّ بِالإِمَامَةِ.

وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ» [١] . ألا ترى أنه قال أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ثم قال الجبهة وأشار بيده إلى الأنف، فهذا فيه بيان إلى أن الأنف تابع للجبهة، أي كأنهما عضو واحد، وفيه أيضاً اختصار بديع، إذ أنه صلى الله عليه وسلم استغنى عن ذكر الأنف بالإشارة إليه، ألا ترى أنه لو لم يشر إلى الأنف لكان يتوجب أن يقال: الجبهة والأنف، فلما استخدمت الإشارة على الأنف مع قوله الجبهة، أغنى ذلك عن ذكر الأنف. والله أعلم.

٤) وفي مقام صلاة النوازل وصلاة الكسوف : يأتي أسلوب الإيماء بالرأس فعَنْ أَسْمَاءَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ . "[٢] . في هذا الحديث جَعَلَتْ عَائِشَةُ إِشَارَتَهَا لِأُخْتِهَا أَنَّ الْكُسُوفَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ هِيَ السَّبَبُ فِي صَلَاةِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، كَنُطْقِهَا بِذَلِكَ.

٥) وفي مجال الصدقة والإنفاق في سبيل الله : تأتي الإشارة مصورة للمعنى أبلغ تصوير يروى البخاري في صحيحه أن أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ لَدُنْ ثَدْيَيْهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ شَيْئًا إِلَّا مَادَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تَجُنَّ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ يُنْفِقُ إِلَّا لَزِمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَوْضِعَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ» ، وَيُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ إِلَى حَلْقِهِ،. [٣] وَالْحَدِيثُ قَالَ فِيهِ -ﷺ-«فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلَا تَتَّسِعُ» ، وَيُشِيرُ

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٦٢ . ح ٨١٢ بَابُ السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ.

(٢) صحيح البخاري المؤلف: ١ / ٢٨ / ح ٨٦ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ .

(٣) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٩ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

بِإِصْبَعِهِ إِلَى حَلْقِهِ، فَجَعَلَ إِشَارَتَهُ إِلَى أَنَّ دِرْعَ الْحَدِيدِ الْمَضْرُوبَ بِهَا الْمَثَلُ لِلْبَخِيلِ ثَابِتَةٌ عَلَى حَلْقِهِ لَا تَنْزِلُ عَنْهُ وَلَا تَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَلَا بَدَنَهُ كَالنُّطْقِ بِذَلِكَ.

٦) وفى مقام الصيام ورؤية هلال رمضان : يروى الإمام مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- ذَكَرَ رَمَضَانَ فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَقَالَ:» الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا - ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ - فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ [١] . «هَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ -ﷺ-نَزَّلَ إِشَارَتَهُ بِأَصَابِعِهِ إِلَى أَنَّ الشَّهْرَ قَدْ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا، وَقَدْ يَكُونُ ثَلَاثِينَ مَنْزِلَةَ نُطْقِهِ بِذَلِكَ . وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ اعْتِمَادِ الْإِشَارَةِ الْمُفْهِمَةِ فِي مِثْلِ هَذَا [٢]. .وفى مقام الصيام وتحديد وقت إفطار الصائم : تأتى الإشارة مؤكدة للمعنى يروى البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-ﷺ- فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لِي» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمْسَيْتَ. ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَاجْدَحْ «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ-، لَوْ أَمْسَيْتَ إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، ثُمَّ قَالَ:» انْزِلْ فَاجْدَحْ «فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فِي الثَّالِثَةِ فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ:» إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ . " [٣] وَالْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّهُ -ﷺ-أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ فَقَالَ:

---

(١) صحيح مسلم: ٢ / ٧٥٩ . ح ١٠٨٠) كتاب الصيام بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، .

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . النووي . ٧ / ١٩١ .

(٣) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٧ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ

«إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَاهُنَا فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ» فَجَعَلَ إِشَارَتَهُ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ كَنُطْقِهِ بِلَفْظِ الْمَشْرِقِ.

٧) وفى مقام الحج وكيف تكون الدعوة فيه بالإشارة: يروى البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: «وَلاَ حَرَجَ» قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: «وَلاَ حَرَجَ» [١] فَالْحَدِيثُ جَعَلَ فِيهِ النَّبِيُّ -ﷺ- الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ كَالْفُتْيَا بِالنُّطْقِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْفُتْيَا بِإِشَارَةِ الْيَدِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ الْمَذْكُورِ آنِفًا . وفى بيان فريضة الحج وركن (الطواف) بالبيت : يروى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «طَافَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى بَعِيرِهِ، وَكَانَ كُلَّمَا أَتَى عَلَى الرُّكْنِ، أَشَارَ إِلَيْهِ وَكَبَّرَ» [٢] . وَالْحَدِيثُ جَعَلَ فِيهِ النَّبِيُّ -ﷺ- الْإِشَارَةَ إِلَى الرُّكْنِ فِي طَوَافِهِ كَاسْتِلَامِهِ وَتَقْبِيلِهِ بِالْفِعْلِ .

٨) وفى بيان أن الْعُمْرَةَ يَجُوزُ فِعْلُهَا فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ : يروى مسلم في صحيحه أن الرسول -ﷺ- أمر أصحابه، أن لمن لم يسق الهدي أن يحل من إحرامه بعد طوافه بين الصفا والمروة ويجعلها عمرة فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً» ، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلِعَامِنَا هَذَا أَمْ لِأَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ» مَرَّتَيْنِ «لَا بَلْ لِأَبَدِ أَبَدٍ» [٣] . ووجه الدلالة

---

(١) صحيح البخاري ١ / ٢٨ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ .

(٢) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٣ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

(٣) حديث جابر . أورده مسلم في كتاب الحج / باب حجة النبي ﷺ . ٢ / ٨٨٦ . ح ١٢١٨ .

هنا أن الرسول -ﷺ- شبك بين أصابعه ليبين ويؤكد على أن هذا الحكم مستمر للأبد، ولا يخفى ما في هذه الحركة من معان قوية، تزيد الكلام تأكيداً، وقوة إلى قوة.

٩) وفى بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ -ﷺ- وبيانه الجامع في خطبته الشهيرة يوم الحج الأكبر: تأتى لغة الإشارة في الخطبة لتجذب الانتباه وترسخ المعاني في الذهن: نجد ذلك في الحديث الذي ساقه الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وذلك عندما «خطب النبي -ﷺ- بالناس في نمرة يوم عرفة، حيث بين لهم في هذه الخطبة أموراً كثيرة وعظيمة، ثم بعد أن بلغهم قال لهم : (وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ، اشْهَدْ، اللهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ...) [١] ففي رفع الرسول -ﷺ-لأصبعه إلى السماء ثم الإشارة به إليهم، جذب لأنظار الناس لهذا الأمر الهام والخطير وهو مقام الشهادة على التبليغ. وترسيخ بعض المعاني في الذهن .

١٠) وفى مقام الدعاء والأوقات التي يجاب فيها الدعاء ويتحرى فيها المكلف ذلك : يروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ -ﷺ-«فِي الجُمُعَةِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَسَأَلَ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ، وَوَضَعَ أُنْمُلَتَهُ عَلَى بَطْنِ الوُسْطَى وَالخِنْصِرِ، قُلْنَا: يُزَهِّدُهَا." [٢] . وَالْحَدِيثُ فِيهِ أَنَّهُ جَعَلَ وَضْعَ أُنْمُلَتِهِ عَلَى بَطْنِ الْوُسْطَى وَالْخِنْصَرِ، مُشِيرًا بِذَلِكَ لِقِلَّةِ زَمَنِ السَّاعَةِ الَّتِي يُجَابُ

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الحج / باب حجة النبي -ﷺ- . ٢ / ٨٨٦ . ح ١٢١٨) .

(٢) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٤ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

فِيهَا الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، أَوْ مُشِيرًا بِذَلِكَ لِوَقْتِهَا عِنْدَ مَنْ قَالَ: إِنَّ وَضْعَ الْأُنْمُلَةِ فِي وَسَطِ الْكَفِّ يُرَادُ بِهِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ سَاعَةَ الْجُمُعَةِ فِي وَسَطِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَوَضْعَهَا عَلَى الْخِنْصَرِ يُرَادُ بِهِ أَنَّهَا فِي آخِرِ النَّهَارِ ؛ لِأَنَّ الْخِنْصَرَ آخِرُ أَصَابِعِ الْكَفِّ كَالنُّطْقِ بِذَلِكَ، وَذَكَرَ ابْنُ حَجَرٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ هَذِهِ الْإِشَارَةَ بِالْيَدِ لِسَاعَةِ الْجُمُعَةِ مِنْ فِعْلِ بِشْرِ بْنِ الْمُفَضَّلِ رَاوِي الْحَدِيثِ . وبتأمل هذا الحديث، يتبين أن إشارته -ﷺ- أفادت معنى جديداً زائداً على كلامه -ﷺ-، وهو أن هذه الساعة أمرها يسير في مقابل نيل أمر عظيم ، وهذا من فضل الله على عباده. قَالَ الزَّيْنُ بْنُ الْمُنِيرِ الْإِشَارَةُ لِتَقْلِيلِهَا هُوَ لِلتَّرْغِيبِ فِيهَا وَالْحَضِّ عَلَيْهَا لِيَسَارَةِ وَقْتِهَا وَغَزَارَةِ فَضْلِهَا "[١] .

١١) . وفى مقام الثواب والعقاب على ما يصدر من اللسان من باب الترهيب : يروى البخاري أن النَّبِيُّ -ﷺ- قال : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» [٢] . فدَلَّ هذا الحديث عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- جَعَلَ إِشَارَتَهُ إِلَى اللِّسَانِ أَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ بِهِ كَنُطْقِهِ بِذَلِكَ.

١٢) وفى الدعوة إلى الوَحْدة والائتلاف : روى البخارى عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ). [٣].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٢/ ٤١٦ .

(٢) صحيح البخاري .٢ / ٨٤ . ح ١٣٠٤ بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ المَرِيضِ .

(٣) صحيح البخاري . بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ ١ / ١٠٣ . ح ٤٨١ .

١٣) وفى الدعوة إلى كفالة الأيتام : روى البخاري عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- : «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى " [١] .في الحديث قامت الإشارة بدور المشبه به ؛ لأنها أكمل في البيان من المشبه ، ولو أردنا أن ندلل باللفظ عن هذه الصورة لقلنا : رسول الله وكافل اليتيم متجاورين في الجنة كثيراً .فهل ترى لهذه العبارةِ من الرونق والبهاء والأريحية ماتجده في قوله : " أنا وهو كهاتين " ؟.إن الإشارة جعلت الجميع ينظر إلى هذين الأصبعين ويفكر فيما فيهما من معان ، كالالتصاق ، ودوام الصحبة ، ووحدة الدرجة ، وشمول النعيم ، وحسن الجوار ، ... الخ . فالإشارة هنا زادت من عمق التشبيه ، ووضعت له كثيرا من الأضواء البيانية ، وفتحت له الباب ليجمع كل معاني الود ، والألفة والاقتران ، والوحدة وغير ذلك .ولا يخفى عليك أن الغاية من وراء كل هذا هو حث المؤمنين على كفالة الأيتام ، والإحسان إليهم ، واستنهاض الهمم حتى لا يبقى في الأمة يتيم غير مكفول .[٢]

١٤) وفى الحدود والجنايات على النفس البشرية تأتى الإشارة كدليل لإثبات الجريمة : روى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: عَدَا يَهُودِيٌّ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-عَلَى جَارِيَةٍ، فَأَخَذَ أَوْضَاحًا كَانَتْ عَلَيْهَا، وَرَضَخَ رَأْسَهَا، فَأَتَى بِهَا أَهْلُهَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- وَهِيَ فِي آخِرِ رَمَقٍ وَقَدْ أُصْمِتَتْ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «مَنْ قَتَلَكِ؟» فُلاَنٌ لِغَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا، فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لاَ، قَالَ: فَقَالَ لِرَجُلٍ آخَرَ غَيْرِ الَّذِي قَتَلَهَا،

(١) صحيح مسلم – بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ . ٤ / ٢٢٨٧ . ح (٢٩٨٣)

(٢) انظر : بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق د / سعيد جمعة.

فَأَشَارَتْ: أَنْ لاَ، فَقَالَ: «فَفُلاَنٌ» لِقَاتِلِهَا، فَأَشَارَتْ: أَنْ نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَرُضِخَ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ . " [1] . وَالْحَدِيثُ جَعَلَ فِيهِ النَّبِيُّ -ﷺ-إِشَارَةَ الْجَارِيَةِ الَّتِي قَتَلَهَا الْيَهُودِيُّ كَنُطْقِهَا بِأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَتَلَهَا، وَأَنَّ مَنْ سُمِّيَ لَهَا غَيْرَهُ لَمْ يَكُنْ هُوَ الَّذِي قَتَلَهَا، وَإِنْ كَانَ النَّبِيى -ﷺ- جَعَلَ إِشَارَةَ الْجَارِيَةِ كَنُطْقِهَا لَمْ يَقْتُلِ الْيَهُودِيَّ بِإِشَارَةِ الْجَارِيَةِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ نُطْقِهَا بِمَنْ قَتَلَهَا، وَلَكِنَّهُ اعْتَرَفَ بِأَنَّهُ قَتَلَهَا فَثَبَتَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ بِاعْتِرَافِهِ وَاقْتَصَّ لَهَا مِنْهُ بِذَلِكَ.

هذا : وفي كتب السنة الكثير من الأحاديث التي على هذا المنوال، والتي تناقلها الرواة قولا وفعلا ، ومن أراد المزيد فليرجع لكتب الصِّحَاحِ وَالسُّنَنِ وَالْمَسَانِيدِ.

وخلاصة القول :

١) أن الاتصال السلوكي غير اللفظي (الإشارة) يعد من أهم الأساليب الدعوية لدعوة الصم والبكم والذين يمثلون شريحة لا يمكن تناسيها أو التغافل عنها في المجتمع الإسلامي ، وقد استخدمها . صلى الله عليه وسلم . بنفسه .

٢) أن الاتصال غير اللفظي أسلوب دعوي لا يمكن الاستغناء عنه في دعوة الجماهير ، سواء من ناحية إظهار المعاني المراد توصيلها ، أم من ناحية إتمام المعاني بتكملة المعنى المنطوق .

٣) أن الاتصال غير اللفظي أسلوب فريد في الدعوة أرشدنا إليه الرسول -ﷺ- وأطلق عليه المفسرون له لغة الإشارة ، مما يدل على أهميته ومكانته .

---

(١) صحيح البخاري . ٧ / ٥١ . ٥٢٩٥ - بَابُ الإِشَارَةِ فِي الطَّلاَقِ وَالأُمُورِ .

٤) أن اللغة اغير اللفظية والاتصال غير الصوتي معترف به شرعياً ، لما يترتب عليها من آثار اتصالية إيجاباً وسلباً .

٥) أن الاتصال غير اللفظي لا يمكن الاستغناء عنه بجانب الاتصال اللفظي في توصيل المعاني والأفكار للآخرين ، والتفاعل بين الأشخاص .

٦) أن للاتصال غير الصوتي دور كبير في الكشف عن مقاصد المتكلمين.

٧) أن الاتصال غير اللفظي أحد شقي الاتصال الجماهيري على الإطلاق، فالاتصال في العالم إما لفظي أو غير لفظي.

٨) قد تؤدي الإشارة باليد أو بالرأس أو بالعين إلى معنى يغني عن الكلام والقول، ويفهم منه المضمون .

المطلب الرابع :التوظيف الدعوى للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال البلاغ والنشر في ضوء البيان النبوي

والمتتبع للبيان النبوي يرى بوضوح التوظيف الدعوى للاتصال بالإشارة في مجال البلاغ والنشر ، ويدرك مدى الاستخدام الدعوي لوسيلة الاتصال غير اللفظي في ميدان الدعوة إلى الله تعالى في دعوته -ﷺ- ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

١) أن الاتصال بالإشارة وسيلة للتحليل والتحريم : فعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَامَ عَلَى البَابِ فَلَمْ يَدْخُلْ، فَعَرَفَتْ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟ قَالَ: «مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ» فَقَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : " إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ،

وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ " وَقَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ»(١).

٢) أنه من وسائل الترغيب والترهيب في الدعوة : ففى باب كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ: وَمَا يَفْعَلُهُ الْمَأْمُومُ إِذَا أَخَّرَهَا الْإِمَامِ تأتى لغة الإشارة من الداعية للتنبيه ، وجمع الذهن ، نلمس ذلك في الحديث الذي ساقه الإمام مسلم عن الْبَرَّاءِ، قَالَ: أَخَّرَ ابْنُ زِيَادٍ الصَّلَاةَ، فَجَاءَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ الصَّامِتِ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ كُرْسِيًّا، فَجَلَسَ عَلَيْهِ، فَذَكَرْتُ لَهُ صَنِيعَ ابْنُ زِيَادٍ، فَعَضَّ عَلَى شَفَتِهِ، وَضَرَبَ فَخِذِي، وَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ أَبَا ذَرٍّ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَضَرَبَ فَخِذِي كَمَا ضَرَبْتُ فَخِذَكَ، وَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَضَرَبَ فَخِذِي كَمَا ضَرَبْتُ فَخِذَكَ، وَقَالَ: «صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ مَعَهُمْ فَصَلِّ، وَلَا تَقُلْ إِنِّي قَدْ صَلَّيْتُ فَلَا أُصَلِّي»(٢) . قال النووي في شرح مسلم : " قَوْلُهُ وَضَرَبَ فَخِذِي أَيْ لِلتَّنْبِيهِ وَجَمْعِ الذِّهْنِ عَلَى مَا يَقُولُهُ لَهُ . "(٣)

٣) أن التغيير الحركي للجسم من وسائل زجر المخاطب : " وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْتُ: لاَ يَسْكُتُ " . (٤) .

٤) إقرار المعنى في نفس السامع والمخاطب : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ » ، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» ... فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ..."(٥) .

---

(١) صحيح البخاري/ بَابُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ/ ج ٧ ص ١٦٩ حديث رقم ٥٩٦١ .

(٢) صحيح مسلم: ١ / ٤٤٩ ح ٦٤٨ كتاب الصلاة – بَابُ كَرَاهِيَةِ تَأْخِيرِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا الْمُخْتَارِ، .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . النووي . ٥ / ١٥٠ .

(٤) صحيح البخاري/ بَابٌ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ مِنَ الكَبَائِرِ/ ج ٨ ص ٤ حديث رقم ٥٩٧٦ .

(٥) صحيح البخاري/ بَابُ بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى/ ج ٢ ص ١٧٦ حديث رقم ١٧٣٩ .

٥) التعليم والتدريب : «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ»[١] .

٦) توضيح المعاني والأفكار : «يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: «هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ»[٢].

٧) بيان الكم أو الكيف : فعن عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى"[٣] . ومن هذا ما رواه البخاري أن النَّبِيُّ -ﷺ- قال : «الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا» وَخَنَسَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ " [٤] .

٨) تصوير المعاني لتأكيد المنطوق : فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"[٥].

وأختم هذا المبحث برصد جملة من الحقائق العلمية ، والمقولات الكلية ، والنتائج الدراسية حول الاتصال غير اللفظي في البيان النبوي الشريف ، والتي رصدتها دراسة علمية جادة في هذا الميدان [٦] وتوصلت إلى " أن في الحديث النبوي الشريف نمطاً تواصلياً يمكن أن يسمى " لغة الجسد " ، أو " التواصل غير اللفظي " ،وجل ما تقدم قبلاً من دلالات ،

---

(١) صحيح البخاري/ بَابُ السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ/ ج ١ ص ١٦٢ حديث رقم ٨١٢ .

(٢) صحيح البخاري/ بَابُ مَنْ أَجَابَ الفُتْيَا بِإِشَارَةِ اليَدِ وَالرَّأْسِ/ ج ١ ص ٢٨ حديث رقم ٨٥ .

(٣) صحيح مسلم/ بَابُ قرب الساعة / ج ٤ ص ٢٢٦٩ حديث رقم ٢٩٥١ .

(٤) صحيح البخاري/ بَابُ «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، »/ ج ٣ ص ٢٧ حديث رقم ١٩٠٨ .

(٥) صحيح البخاري/ بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ/ج ١ ص ١٠٣ حديث رقم ٤٨١.

(٦) البيان بلا لسان . مهدى أسعد عرار . ص ٢٥٤ وما بعدها .

وهيئات ، وحركات ، كان نماذج جزئية يراد منها تجلية هذه الظاهرة عامة ، وبيان بعض تجلياتها في الحديث خاصة ، والذي يأتي عقب ذلك هو الموجهات الكلية التي تجمع نثار ما تقدم ،وتجعله كالعقد الذي ينتظمه سلك جامع لأشتاته يتمثل فيما يلى :

١) **أولها** : أن المبثوث في هذه المباحث الفرعية قليل قلة بالغة من كثير كثرة ظاهرة ، والمقصد من ذلك كله التعريف بهذه الظاهرة أولا ، وتلمسها في الحديث النبوي الشريف ثانياً ، والتعريج على أجلى شواهدها ،ومواضع تمثلها فيه ثالثاً ، وبيان فضلها في إقامة التواصل ، والبيان والتبيين رابعاً .

٢) **وثانيها** : أن من الهيئات الواردة في الحدث الشريف ما هو عالمى يرين عليه إلف أبناء البشر، فيعرفون معناه معرفة جمعية ينعقد إجماعهم عليها ،ومن ذلك المعاني العالمية التي تظهر في الوجه ؛ كالفرح ، والحزن ، والخوف، ومنها ما خاص ، كالحركات الدينية الحمالة لدلالات [١]

٣) **وثالثها** : إن من الهيئات الواردة في الحديث الشريف عامة خاصة ما هو تلقائي يظهر على الجوارح دون تعمل أو اجتلاب ؛ كالذي رئي في وجهه الشريف من معاني الفرح ، أو الغضب ،وأن منها ما هو مجتلب مستدعى قصداً لحاجات في النفس شتى ، كتشبيك اليدين في رسم

---

(١) هناك ضروب من الحركات الجسدية متباينة ، فهناك لهجات مهنية ، وعمرية ،ودينية ، وجنسية وإقليمية ، ومن الحركات الجسدية الدينية : رفع اليدين وفتح الكفين طلباً للدعاء والترجي من الله .. ومنها حركة التبرك التي عمادها مسح الوجه او سائر الجسد . ومنها حركة اليد الراقية الماسحة المطمئنة .. ومنها حركتا السجود والركوع الدالتان على والخضوع لله .. ومنها رفع السبابة أو مدها في مقام توحيد الله ، والتشهد . انظر : البيان بلا لسان . مهدى أسعد عرار . ص ٤٣ .

صورة البنيان المرصوص ، وما شاكلها مما يعد مقصوداً مجتلباً غير تلقائي أو فطرى .

٤) **ورابعها** : أن الرسول الكريم -ﷺ- قد عول عليها في تواصله مع من حوله ،وقد أفضت جوارحه الشريفة بحركات مخصوصة إلى التعبير عن مقاصده ، فكانت ناطقة حيناً ، ومساندة للمنطوق حيناً آخر ، ومجلية له حيناً ثالثاً ،وقد كانت كذلك مصدراً من مصادر المعنى الذى يقوم في نفسه عندما كان يقرؤها في إيماءات من هو أمامه ، وقد تقدم قبلاً التمثيل على ذلك كله .

٥) **وخامسها** : التفات الرواة الذين نهدوا لحمل الحديث التفاتات معجبة إلى الحركات الجسدية الصادرة عن الرسول -ﷺ- أو عمن كان بحضرته، ولذلك كله كان منهم رواية للحديث الشريف رواية حركة ورواية لفظ ، فجمعوا في نقل الأحاديث بين رواية الكلاميات ورواية الحركيات علماً منهم بأنهما شقان متلازمان في الدلالة والإبانة ،ووفاء بالمعنى الذى أداه الرسول بالسبيلين : الصائت اللفظي ، والصامت الحركي ،ولذلك نقلوا الحركات بخاص لفظهم ،وحولوها من حركات مرئية مشاهدة في الحدث الكلامي الحى إلى حركات منطوقة مرسومة ممثلة بالكلمات في الحديث المحمول والمنقول .

٦) **وسادسها** : التفات المصنفين في الحديث الشريف إلى الهيئات الحركية عامة وباب الإشارة خاصة ، فعقد بعضهم لها . أعنى الإشارة . باباً قائماً برأسه بين أبواب الأحاديث المجموعة إشارة منهم إلى أنها جزء من الحديث النبوي الشريف الذى يحرص على رواية حركته كما يحرص على رواية لفظه .

٧) **وسابعها** : أن هيئات الجوارح ودلالاتها الواردة المنهج النبوي يمكن أن تستنبط من وجهات متباينة ، ومن ذلك الوجهة الدلالية : فقد بدا أن للهيئات وظائف متباينة ، فقد تكون رافداً معززاً للمعنى المنطوق ،وقد تكون نائباً أميناً يقوم مقامة ، فيؤدى غرضه ،وقد تكون مؤكدة وممثلة لمعناه المنطوق بالمعنى المحس والممثل بالحركات ،وقد تكون موجزة مختصرة... ولذلك كله فإن الحركات الجسدية والهيئات في لغة الجسد في الحديث النبوي الشريف -عززت ، وسدت وأكدت، وشرحت ،ومثلت ، وخضرت .أما من الوجهة التواصلية : فقد بدا أن الحركات الجسدية شطر رئيس في درس التواصل غير اللفظي ... أما من الوجهة النفسية : فقد كانت الحركات والهيئات الجسدية دوال وكواشف عن معان مكنونة يمكن أن يفصح المرء عنها إفصاح نطق ، وهذا هو مضمار اللغة الصائتة والكلاميات ، وإفصاح حركة ، وهذا هو مضمار الصمتيات والحركيات . أما من الوجهة التشريعية : فإن تلمُس هذه الهيئات وتقليب النظر فيها ، في الحديث النبوي الشريف لمن الدواعي المقررة بالتشريع حلاله وحرامه.

٨) **وثامنها** : التعريج على مثال يكاد يكون جامعاً لجل ما تقدم من حركات ودلالات ، ومتممات ، وهيئات ، وهو حديث وفاة الرسول -ﷺ- ، ،وها أنذا اجمع متفرقة ، وألملم نثاره من صحيح البخاري عامة ، أما الحركات فقد كانت من اليد ، والرأس ، والعين ، والقدم ،وأما الدلالات فمتعددة ، فالرأس الشريف قد سئل فأجاب " نعم " ، والعين طلبت السواك فاستجبت لها ، واليد أمرت أبا بكر بالمكث مكانه وهو قائم يصلى ، وأمرت نساءه -ﷺ- أن كفى فقد فعلتن. أما الهيئات فقد ظهرت هيئة المشية الدالة على التثاقل والمرض ، وهيئة النظر

الشاخص الحديد ،وأما المتممات المساندة فأجلاها الرأس العصيب الدال على المرض ، حقاً أن هذا السرد المتقدم بيانه يبرهن أن المعنى لا يمكن أن يؤخذ أو يعين من دلالات الألفاظ فقط ، فهناك عناصر أخرى تقدم معانى [١].

وخلاصة القول : إن في الأحاديث السابقة بيان شاف لمشروعية استخدام الإشارة في ميدان العمل الدعوى سواء أكان ذلك في الخطبة أم الفتوى أم التعليم وأن ذلك مما يعين الداعية والمعلم على إيصال ما يقوله إلى المستمع في صورة جلية ليسهل استيعابه وفهمه، وأن أكثر الإشارة ينبغي أن تكون باليدين والكفين والأصابع لأنها موضع ذلك في الأغلب وعلى جاري عادة الناس ، وبعد ذكر هذه النماذج التطبيقية الدعوية في المنهج النبوي نخلص إلى ما يلى :

١) أن النبي -ﷺ- استخدام مهارات متعددة من الاتصال غير اللفظي كالإشارة والإيماءات من حركات اليدين والرأس... الخ في الدعوة إلى الله تعالى .

٢) لا يمكن أن ينفك الداعية بحال من الأحوال عن إيماءات اليدين والرأس، في عمله الدعوى ، فهي ملازمة له أياً كانت وسيلته الدعوية من الخطابة أو الوعظ أو التعليم فينبغي عليه أن يوظف هذه الحركات والإيماءات لصالح الدعوة إلى الله تعالى .

٣) يجب على الداعية المسلم أن يقتدى بسيد الدعاة -ﷺ- في توظيف لغة الإشارة من الإيماءات والحركات لليدين والرأس وغيرها في صالح الدعوة إلى الله تعالى ، ومن هذا أنها تفيد الداعية في الاختصار، أو زيادة

---

(١) انظر : ظاهرة اللبس في العربية . مهدى عرار ، ، ٧١- ٨٣ .

تأكيد على الكلام، أو ترسيخ وتعميق بعض الأمور الهامة أو جذب انتباه السامع، أو التعبير عن بعض المعاني التي قد يتعذر على اللسان الإتيان بها.

٤) ينبغي على الداعية ألا يسرف في استعمال الإشارة في دعوته بل يجب أن تكون وفق المنهج النبوي ؛ فعين المدعو تتابع حركات الداعية وسكناته ، وهو يتأثر بالإشارات والحركات التي يحدثها الداعية .

٥) أن الخطاب الدعوي أحيانا يكون بالإشارة والحركة والفعل ، فقد تؤدي الإشارة باليد أو بالرأس أو بالعين إلى معنى يغني عن الكلام والقول، ويفهَم منه المضمون .

ولا شك في أن الحركة والإشارة وليدة الانفعال والتأثر ، والداعية الذي لا يكون متأثرا بما يقول يفقد أهم مقومات الداعية ، فأمر الإشارة واستخدامها في الميدان الدعوى متروك للفطرة السليمة للداعية التي تستجيب للموقف ، ثم تمتلك زمامه بالكلمة ، والصوت ، والحركة ، فتتناسب الإشارة مع الكلمات ، والصوت ، فتصغر حتى تصبح حركة بسيطة ، أو إشارة عين ، يقال :

إذا قلوب أظهرت غير ما ... تضمره أنبئتك عنها العيون [١] .

وتكبر الإشارة حتى تشمل تغيير الهيئة كما روى البخاري عن سيد الدعاة -ﷺ- حينما قال : «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ» ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ . [٢]

---

(١)عيون الأخبار . ابن قتيبة الدينوري . ٢ / ١٩٧ . دار الكتب العلمية بيروت . ١٤١٨ هـ .

(٢) صحيح البخاري . كِتَابُ الشَّهَادَاتِ . بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ ج٣ ص ١٦٧ ح رقم ٢٦٥٤ .

فعلى الدعاة إلى الله تعالى واجبات في مجال الإلقاء لابد أن يضطلعوا بها إذا ما أرادوا النجاح لدعوتهم ، وهى تقويم ذاتى للدعاة في هذا الميدان ، وتتمثل فيما يلى :

قدرة الداعية على استخدام الإشارة أثناء دعوته .

معرفة عدد مرات استخدام تلك الإشارة وهيئتها ودلالتها التأثيرية .

كيفية استخدام الداعية للإشارة وإدراك وقعها على المدعو .

ومدى التوافق بين الإشارة والعبارة في التواصل الدعوى .

الخاتمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، والصلاة والسلام على سيد الدعاة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،،

فأشكر الله . تعالى . الذي وفقني للقيام بهذا البحث حول (التواصل غير اللفظي في مجال الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي دراسة موضوعية دعوية) ، وقد كشفت الدراسة عن مجموعة من النتائج أذكرها ، ثم أردفها بأهم التوصيات كما يلى :

أولاً : النتائج :

١) من النتائج التي توصل إليها البحث أن الاتصال بالآخرين أما أن يكون لفظي (بالكلام) أو غير لفظي (بالإشارات).

٢) تبين أن للاتصال غير اللفظي أهمية عظمى ومنزلة سامية في الإسلام اتضحت هذه الأهمية من خلال السنة النبوة المطهرة .

٣) أظهرت الدراسة أن لغة الإشارة معروفة عند معظم الأمم ، ولها جذور تاريخية عميقة امتدت للحضارات القديمة ، ووجدت عند العرب قبل خمسة عشر قرناً من الزمان وليس كما زعم منظرو الغرب لتاريخ لغة الإشارة .

٤) أثبتت الدراسة أن لغة الإشارة من الأمور المتفق عليها بين الثقافات المختلفة وعلى المستوى المحلى والعالمي ، وهذا مما يبرز أهمية لغة الإشارة في التواصل الإنساني ، ويفتح باب الأمل أمام الدعاة إلى الله تعالى في إمكانية الدعوة إلى الله تعالى بالإشارة في البيئات المختلفة .

٥) إن المتتبع للمنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى يجد أن النبي -ﷺ- قد استخدم الإشارة في دعوته للناس جميعاً ، فضلاً عن الصم والبكم ، مما يدل على مشروعية هذا العمل الدعوى من ناحية ، وعلى فاعليته في ميدان العمل الدعوى من ناحية أخرى ، كما أن الصحابة رضوان الله عنهم كانوا بارعين في معرفة لغة الإشارة ، فقد كانوا يعرفون من خلال أفعال الرسول-ﷺ- وإيماءاته كافة أحواله .

٦) ثبت أن النبي -ﷺ- استخدام لغة الإشارة والإيماءات من حركات اليدين والرأس والجسم والهيئة في الدعوة إلى الله تعالى ، واعتمد عليها وقبلها ممن لا يحسن الكلام كالصم والبكم وذلك في مجال الدعوة للعقيدة الإسلامية الصحيحة والعبادات ، والأخلاق .

٧) وظف النبي -ﷺ- لغة الإشارة في الدعوة إلى الله تعالى أحسن ما يكون التوظيف ، فتنوعت استخداماته للإشارة ، فمرة تأتى لتأكيد المعاني وتقريرها في نفوس المدعوين ، ومرة تأتى لاختصار المعاني ، ومرة لزيادة تأكيد على الكلام، أو ترسيخ وتعميق بعض الأمور الهامة أو جذب انتباه السامع، أو التعبير عن بعض المعاني التي قد يتعذر على اللسان الإتيان بها .

٨) لا يمكن أن ينفك الداعية بحال من الأحوال عن لغة الإشارة في عمله الدعوى فهي ملازمة له أياً كانت وسيلته الدعوية من الخطابة أو الوعظ أو التعليم فينبغي عليه أن يوظف هذه الحركات والإيماءات لصالح الدعوة إلى الله تعالى

ثانياً : التوصيات :

وإنني بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث لأجد هنالك بعض التوصيات التي تجدر الإشارة إليها ، والتنبيه إلى أهميتها ، وأهم هذه التوصيات ما يلي:

١) أوصى الدعاة إلى الله تعالى أن يقتدوا بسيد الدعاة -ﷺ- في توظيف لغة الإشارة من الإيماءات والحركات لليدين والرأس والوجه وغيرها في صالح الدعوة إلى الله تعالى ، وينبغي على الداعية أن لا يسرف في استعمال الإشارة في دعوته بل ينبغي أن تكون وفق المنهج النبوي الصحيح .

٢) وأوصى الباحثين والعلماء بإعداد دراسات تأصيلية حول موضوع الإشارة بحيث تتناولها من جميع جوانبها وآلياتها في ضوء السنة النبوية ، وحبذا لو تم تأليف معجم لدلالة الإشارات في بيان السنة النبوية وتراث العرب القديم.

٣) واقترح على المؤسسات العلمية والدعوية المسؤولة عن نشر الدعوة الإسلامية أن تعمل على إعداد وطباعة كتب السنة النبوية الصحيحة بدءاً بصحيح الإمام البخارى بطريقة بريل للصم والبكم .

٤) وأوصى وزارة الأوقاف بالتعاون مع جامعة الأزهر بعقد دورات علمية لتدريب مجموعة من الدعاة على كيفية استعمال لغة الإشارة في الدعوة إلى الله تعالى وذلك بالاستعانة بالخبراء والمتخصصين في هذا الشأن ،

وكذا أن تعمل على إعداد قاعات خاصة للصم والبكم بالمساجد الكبرى (١) حتى يتعلموا أمور دينهم من خلال الخطابة والدروس .

٥) وأوصى الحكومات الإسلامية أن تعمل على إدخال أحكام الإشارة من المنظور الإسلامي بشكل موسع في مواد دساتير الدول لكي يعمل بها في القوانين سواء تعلق ذلك بأحكام المعاملات، أو العبادات او الأحوال الشخصي

وختاماً:

هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحث هذا الموضوع ، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان ، واستغفر الله من ذنبي وتقصيري ، وأسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن في الأولى والآخرة، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به ، وأن يكون لبنة في صرح الدعوة الإسلامية العامر .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) وهناك تجربة رائعة قدمت في المدينة النبوية المنورة يمكن أن تحتذي في معظم بلاد الإسلام وهى أن الصم والبكم، من زوار المسجد النبوي الشريف ، يحظون بفرصة عظيمة لفهم خطبة الجمعة من خلال لغة الإشارة، والترجمة الفورية لخطبة الجمعة ، حيث إن رئاسة الحرمين الشريفين، وفرت حجرة خاصة بالمسجد النبوي بها تلفاز يترجم خطبة الجمعة مباشرة بلغة الإشارة، فقد اعتاد الصم البكم على إقصاء غير مقصود عن طقوس خطبة الجمعة في المساجد أو المحاضرات والدروس، لأن صوت الخطيب لا يصل، لكن صدق نوايا رجال المسجد النبوي، قدم تجربة قابلة للاستنساخ محلياً وعالمياً. http://oloumalislam.blogspot.com/،.

المصادر والمراجع وهى مرتبة على حروف الهجاء

١) أسرار لغة الجسد . ليلى شحرور . طبعة الدار العربية للعلوم ناشرون ، الطبعة الأولى لبنان ٢٠٠٧م .

٢) أسرار لغة الجسد . سوزان دينس وليمز . تعريب مركز دافنشي . ط (١) ط إبداع القاهرة. ٢٠٠٨م .

٣) أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجاني . مطبعة المدني بالقاهرة د ت.

٤) أهمية لغة الجسم في الاتصال مع الآخرين . عبد الله عبد الكريم السالم . مجلة الإدارة . المجلد ٣٣ . العددان (٣ ، ٤) . القاهرة. (٢٠٠١م).

٥) الإشارة في الخطابة الأستاذ / مرشد الحيالي ـ شبكة الألوكة بتاريخ: ٢٠١٠/٨/٨ م ١٤٣٢ هـ .

٦) الإلقاء الخطابي في الدعوة إلى الله تعالى مفهومه ، أهميه ، عوامل نجاحه . د / خالد عبدالرحمن القريشى . طبعة دار العاصمة الرياض السعودية الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ / ٢٠٠١ م.

٧) الاتصال الجماهيري . صالح أبو أصبع . طبعة دار الشروق عمان . الطبعة الأولى . عام ١٩٨٨م .

٨) الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي . إبراهيم أحمد أبوعرقوب . ص ١٣ . عمان، الأردن . طبعة أولى . عام ١٩٩٣م.

٩) الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية . د/ عودة عبد الله عودة بحث محكم ومنشور في مجلة المسلم المعاصر القاهرة عدد ١١٢ عام ٢٠٠٤ .

١٠) الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق . د / نضال أبوعياش . الطبعة الأولى . الناشر، كلية فلسطين التقنية . ٢٠٠٥ م .

١١)الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث (النظرية والتطبيق) ـ سامية محمد جابر . طبعة الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، د.ط، د.ت

١٢)الاتصال الفعال .د / هالة منصور . المكتبة الجامعية ، الإسكندرية

١٣)بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق د / سعيد جمعة . بحث على الشبكة العالمية . موقع ملتقى أهل التفسير . الرابع من شهر رمضان ١٤٢٦ هـ .

١٤)البيان بلا لسان . مهدى أسعد عرار . طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى . عام ٢٠٠٧ م

١٥)البيان والتبيين . الجاحظ . ط مكتبة الهلال، بيروت: ١٤٢٣ هـ .

١٦)تدريب الدعاة على الأساليب البيانية . د. : عبد الرب بن نواب الدين الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١٢٨ لسنة ٣٧ /١٤٢٥هـ .

١٧)تاريخ آداب العرب . الرافعي . الناشر: دار الكتاب العربي .

١٨) التواصل الفعال الأسس النظرية والمجالات التطبيقية . محمد الأمين موسى . ط ج الشارقة . عام ٢٠١٢.

١٩)التمهيد . ابن عبد البر . نشر: وزارة الأوقاف المغرب سنة ١٣٨٧ هـ

٢٠)حتى لا تكون كَلاً . عوض بن محمد القرني . دار الأندلس الخضراء جدة ط٥ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .

٢١)خصائص الخطبة والخطيب . نذير مكتبى . ط دار البشائر الإسلامية بيروت الطبعة الأولى . عام ١٤٠٩ م

٢٢)الخطابة بين النظرية والتطبيق د / محمود عمارة . سلسلة البحوث الإسلامية بالأزهر. السنة (٣٦) الكتاب الأول . ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٢٣) الخطابة وإعداد الخطيب ، د/ عبد الجليل شلبى ، ج١ ،مطابع وزارة الأوقاف الطبعة الثالثة . د ، ت

٢٤) الخطابة، الشيخ /محمد أبو زهرة ، القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م .

٢٥) الخطابة وإعداد الخطيب . د/عبدالرحمن جيرة . كلية أصول الدين بالقاهرة . ط الأولى١٤١٨ هـ /١٩٩٧ م

٢٦) دليل التدريب القيادي د/ هشام يحى الطالب . ط المعهد العالمى للفكر الإسلامي . ط ثالثة . عام ٢٠٠٦ م .

٢٧) دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . مكتبة الخاجي القاهرة .

٢٨) الدعوة الإسلامية والإعلام الديني ، د. عبد الله شحاتة ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب . عام ١٩٧٨ م .

٢٩) سنن أبي داود السِّجِسْتاني . الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

٣٠) سنن الترمذي ، ط البابي الحلبي مصر ط (٢)، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٣١) سيكولوجيا الواقعية والانفعالات . د/ محمد محمود بني يونس . ط دار المسيرة أولى . عمان ٢٠٠٧ م .

٣٢) السنة أبو بكر بن أبي عاصم . ط المكتب الإسلامي الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٣٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال مكتبة الرشد ،السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

٣٤) صحيح البخاري . دار طوق النجاة . الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣٥) صحيح مسلم . دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٦) عمليات الاتصال: من الاتصال الذاتي إلى الاتصال الجماهيري، صالح أبو إصبع ..مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات، العدد الثالث، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

٣٧) علم الفراسة : استمرار الخلق وإبداعها . إحسان حقي . طبعة دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣.

٣٨) علم الفراسة الحديث . جرجي زيدان . طبعة دار الهلال . طبعة رابعة القاهرة ، ١٩٢٣ م .

٣٩) عيون الأخبار . ابن قتيبة . دار الكتب العلمية بيروت . ١٤١٨ هـ

٤٠) العقد الفريد . ابن عبد ربه الأندلسي . دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

٤١) العبارة والإشارة دراسة في نظرية الاتصال . د/ محمد العبد. طبعة مكتبة الآداب القاهرة ط (٤) ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

٤٢) العلاقات العامة والاتصال الإنساني . صالح أبو إصبع . ط دار الشروق ،الأردن . ط (١) عام١٩٩٨م .

٤٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه . ابن رشيق القيرواني . دار الجيل ط (٥)، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤٤) فن الخطابة ، للدكتور / أحمد الحوفى ، . طبعة نهضة مصر القاهرة . ديسمبر ٢٠٠١ م .

٤٥) فنون الحوار- محمد ديماس . طبعة بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

٤٦) الفراسة . فخر الدين الرازي . طبعة مكتبة القرآن، القاهرة.

٤٧) القاموس الإشارى للصم . ماجدة سيد عبيد . ط١ ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، ١٩٩٢ م

٤٨) كيف تكسب الأصدقاء . دايل كارنيجي . مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت.

٤٩) كيف تتعرف على شخصية الآخرين من ملامح الوجه . يوسف أبو الحجاج، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق . عام ٢٠٠٧م .

٥٠)كيف تتكلم وتتحاور بطريقة أفضل . يوسف الأقصري . دار اللطائف ، ط١، لقاهرة ٢٠٠٢ م .

٥١)لغة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم . آلن بيز- طبعة الدار العربية للعلوم . بيروت، لبنان . طبعة أولى عام ١٩٩٧م .

٥٢)لغة الجسم (دراسة في نظرية الاتصال غير اللفظي) - مدحت محمد أبوالنصر. طبعة مجموعة النيل العربية . طبعة أولى القاهرة . ٢٠٠٦م .

٥٣)لغة العيون د/ محمد كشاش – المطبعة العصرية – بيروت – لبنان .

٥٤)لسان العرب . ابن منظور . دار صادر بيروت . ط الثالثة ١٤١٤ هـ

٥٥)معجم العلوم الإنسانية، بإشراف : جان فرنسوا ، ترجمة : د.جورج كتورة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، المؤسسة الجامعية للدراسات.

٥٦)مسند الإمام أحمد . مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٥٧)مسند البزار. ط – المدينة المنورة ط الأولى، ١٩٨٨م.

٥٨)السنن الصغرى للنسائي مكتب المطبوعات حلب ، ١٤٠٦ / ١٩٨٦.

٥٩)المجموع شرح المهذب . النووي . الناشر: دار الفكر .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٠٣
أهمية الموضوع	٢٠٥
أسباب اختيار البحث	٢٠٦
هدف البحث	٢٠٦
منهج البحث	٢٠٧
خطة البحث	٢٠٧
المبحث الأول :مفهوم الاتصال غير اللفظي وأقسام الاتصال الإنساني فيه	٢١٠
المبحث الثاني : أهمية الاتصال غير اللفظي ومكانته في ضوء المنهج النبوي الشريف	٢١٥
المبحث الثالث : نشأة الاتصال غير اللفظي وأصله الإسلامي وإمكانية تطبيقاته الدعوية	٢٢٤
المطلب الأول : تاريخ الاتصال غير اللفظي ونشأته وتطوره	٢٢٤
المطلب الثاني : التواصل غير اللفظي وإمكانية تطبيقه دعوياً	٢٣٢
المبحث الرابع : العلاقة بين التواصل اللفظي وغير اللفظي وأثرها في عملية الاتصال الدعوى	٢٣٦
المطلب الأول: العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية التواصلية	٢٣٦
المطلب الثاني : العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي من الناحية الدلالية .	٢٤١

الموضوع	الصفحة
المبحث الخامس: ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي في الدعوة إلى الله تعالى في ضوء المنهج النبوي	٢٤٤
المطلب الأول: ضوابط ومهارات الاتصال غير اللفظي بالهيئة الجسدية في المنهج النبوي	٢٤٤
المطلب الثاني : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة باليد في ضوء المنهج النبوي	٢٤٨
المطلب الثالث : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة بالعين (لغة العيون) في ضوء المنهج النبوى	٢٥١
المطلب الرابع : ضوابط ومهارات استخدام الإشارة فيما يتعلق بالمتممات في ضوء المنهج النبوي	٢٥٣
المبحث السادس : نماذج تطبيقية للتواصل غير اللفظي ودلالته التأثيرية في المدعوين في ضوء المنهج النبوي	٢٥٧
المطلب الأول : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية الدلالية	٢٥٨
المطلب الثاني : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية النفسية	٢٦٧
المطلب الثالث : الاتصال غير اللفظي بالإشارة في المنهج النبوي من الناحية الدعوية عقيدة وتشريعا وأخلاقا	٢٧٣
أولاً : نماذج تطبيقية للدعوة بالإشارة في منهج النبي ﷺ في المجال العقدى :	٢٧٤
ثانياً : نماذج للتواصل غير اللفظي بالإشارة في منهج النبي ﷺ في المجال التشريعي والأخلاقي.	٢٨٣

الموضوع	الصفحة
المطلب الرابع :التوظيف الدعوى للاتصال غير اللفظي بالإشارة في مجال البلاغ والنشر في ضوء البيان النبوي	٢٩٢
الخاتمة	٣٠١
أولاً : النتائج	٣٠١
ثانياً : التوصيات	٣٠٣
المصادر والمراجع	٣٠٥
الفهرس	٣١٠